

الفصل الثاني

مراكز العلم وأهم المعاهد العلمية في إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي



أولاً: اهتمام السلاطين والوزراء والامهات بالعلم والعلماء



أولاً: اهتمام السلاطين والوزراء والحكام بالعلم والعلماء في إقليم خوارزم:

اتسع أفق الفكر الإسلامي في عصر السلاجقة اتساعاً كبيراً، فقد كانت ملكات المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التي نشطت في الدولة العباسية، وكثرة تنقل رجال العلم والأدب في مشارق العلم الإسلامي ومغاربه، في ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، فنشطت الحركة الفكرية، وراجت الثقافة، وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء^(١). وبذلك نشطت الحركة الفكرية في إقليم خوارزم، وزخرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم، وارتفع شأن العلماء في العصرين السلجوقي والخوارزمي، بفضل تشجيع السلاجقة والخوارزميين ووزرائهم.

ففي عهد السلطان طغرل بك (٤٢٩ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣ م) انتشر بناء المساجد، فكان يقول: استحي من الله أن أبني داراً ولا أبني بجانبها مسجداً^(٢)، كما كان وزير عميد الملك الكندري ٤٥٦ / ١٠٦٣ م^(٣)، يحترم الفقهاء ويجلهم في حياتهم

(١) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص ١٩٢. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، القاهرة بدون ص ١٠٨.

(٢) البنداري: آل سلجوق، ص ٢٨.

(٣) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق د. / أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ١٩٨٤ م، ص ٦٦ الكندري: نسبة إلى كندر، قرية من نواحي نيسابور من أعمال طريث، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٥٤.

ومماتهم^(١). وأن كان يببالغ في اهتمامه بأئمة المذهب الحنفى - مذهبه، وكان شديد التعصب على الشافعية^(٢)، كما كان متصوفا^(٣)، كما أظهر اهتماما بالغاً بالنواحي الأدبية، وكانت له إيراد بيضاء فى الكتابة والفصاحة، وكانت له مؤلفات عديدة، بالعتين العربية والفارسية، كما كان من الأدباء الكبار، حتى أن معظم المؤرخين يرجع ازدهار دولة طغرلبك إلى كفاءة هذا الرجل، وشهرته العلمية والأدبية^(٤).

كان إقليم خوارزم من أمهات القاليم التى كانت تستقبل الإشعاع الفكرى وتبثه فى الأقاليم المجاورة، ولذلك ولى طغرلبك عميد الملك أمر إقليم خوارزم^(٥)، ويدل على مكانة الوزير عميد الملك الأدبية أن النظامى العروضى^(٦): حين تحدث عن ماهية وصفة الكاتب الكامل، أوصى من يريد بلوغ درجة الكمال فى هذه المهنة أن يضطلع كتب السلف ممن كان لهم باع فى هذا المجال، وكان من عددهم من هؤلاء عميد الملك الكندرى.

وكان له فضل وشعر^(٧)، ومن شعره لنفسه:

أنا مشغول بحبه	وهو مشغول بلعبه
لو أراد الله خيرا	وصلاحا لمحبة
نقلت رقة خدي	إلى قسوة قلبه ^(٨)

(١) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٣٨.

(٣) خواندمير: (غياث الدين خواندمير)، دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق د. / حربى أمين سليمان، مقدمة د. / فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ٢٤٤.

(٤) محبوبة، نظام الملك كبير الوزراء فى دولة الإسلامية، الدر المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٢١٦.

(٥) الباخرزى: (أبو الحسن على بن الحسن بن أبى طيب الباخرزى، ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤م) دمية القصر وعصره أهل العصر، جزاء، تحقيق د. / سامى مكى العاينى، ط، مكتبة دار العروبة الصفر، الكويت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، ج ٢، ص ١٣٩.

(٦) جهاز مقاله، المقالة الأولى، ص ٢٣٢، وكان يتمتع معظم وزراء السلاجقة بمقدرة فائقة على الكتابة بما يملكون من حسن الخط وبلاغه الأسلوب، عبد الهادى محبوبة: من رسائل نظام الملك، مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١، ص ١٦٠.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٦، ص ٩٢.

(٨) الأصفهاني: (عماد الدين الأصفهاني)، ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق د. / عدنان محمد الطعمة، ٣ أجزاء، ط ١، مرآة التراث، إيران، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٢، ٤٣.

وقد حظى الأدباء في عهده باهتمامه ورعايته، وإغداقه الأموال عليهم^(١)، فأصبح عميد الملك ممدوحا من قبيل الشعراء، مثل الباخرزى الذى قال فيه :

طاب العميد الكندرى شمائله حتى استعار الروض فيه تافؤلا
يدعى أبا نصر، وصنع الله نا صره أخيم أم توجه راحلا
طمحت إلى خوارزم همته كما سلك الهزبر إلى العرين قد اخلا
لما غدا جيحون طوع مراده كيف اقتضاه جامدا أو سائلا^(٢)

وفى عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) وعهد السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م)^(٣)، نشطت الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى، بفضل الوزير (نظام الملك أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوس) (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م) الذى لم يتفق لغيره، ما اتفق له من ازدحام العلماء عليه، وترددهم إلى بابه وثنائهم على عدله^(٤)، وليس غريبا على هذا الوزير اهتمامه بالعلم فهو من أولا الدهاقين^(٥)، وقد اشتغل بالحديث والفقه^(٦)، على المذهب الشافعى، وحفظ القرآن^(٧)، وكانت مجالسه عمورة بالعلماء، مأهولة بالأئمة والزهاد^(٨). والقراء والفقهاء^(٩)، والصوفية كثير الإنعام عليهم^(١٠).

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٦٨.

(٢) الباخرزى: دمية القصر وعصره أهل العصر، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٦٩.

(٤) السبكى: (تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى، ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م. طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الخلو، ١٠ أجزاء درا إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج ٤، ص ٣١٣، نظام الملك: (أبو على الحسن بن على بن إسحاق الطوسى)، ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، سياسة تامة، ترجمة وتعليق د. / السيد محمد العزاوى /، الناشر / دار الرائد العربى، توزيع دار ركابى، بدون ترجمة المؤلف، ص ٥.

(٥) الدهاقين: جمع دهقان كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم، العينى: (بدر الدين العينى)، ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م، السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد، حققه فهد محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، قدم له فهد محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، بدون، حاشية ٢، ص ١٠٩.

(٦) ابن الأثير: الكامل، مج ٨، ص ٤٨٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٢، ص ١٢٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٣، ص ٣٧٣.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٢، ج ١٢، ص ١٥١، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٥.

(٨) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٣.

(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٩، الذهبى: دول الإسلام، ج ١، ص ٤١٧.

(١٠) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٢، ج ٣، ص ٣٧٤، محبوبة، نظام الملك، ص ٢٥٤-٢٥٥.

وقد جعل فى داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع يرتدها العلماء والأدباء دون تقيد بسن (١) أو مذهب (٢) ورغب الطلبة فى العلم، وأغدق عليهم الأموال (٣)، فنشأ للناس أولاد نجباء (٤)، منهم الزمخشري محمود بن عمر بن أحمد (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ - ١٠٧٤ - ١١٤٣ م) وكان أستاذه محمود بن جرير الضبى الأصفهاني ت ٥٠٧ هـ - ١١١٣ م (٥)، مقرنا من الوزير نظام الملك، فأوصله بنظام الملك، ولذلك كان الزمخشري مقربا من نظام الملك، ومن عطفه ونعمه (٦)، فمدح الزمخشري نظام الملك بقوله:

إليك ريبب الملك أشكر أنعمنا ليمناك هطلا على ربابها

ودائمة من لك الدعوى التى يجوب السماوات العلى مستجابها (٧)

وكان الوزير نظام الملك مؤيدا بخوارزمي هو شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء (٨)، ت ٤٩٤ هـ / ١١٠٠، وكان مؤيدا ومعينا لنظام الملك (٩) وكان متعصبا لأصحاب أبي حنيفة (١٠) وبنى لهم المدارس (١١).

(١) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.

(٢) ابن رجب: (زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن من شهاب الدين أحمد البغداديشم الدمشقي الحنبلي)، ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، جزءان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج ١، ص ٥٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٤) البنداري: آل سلجوق، ص ٥٩.

(٥) ياقوت الحموي: (أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي)، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب فى معرفة الأديب، ٥ مجلدات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، مج ٥، ص ٤٨٩.

(٦) مصطفى الصاوى الجويني: منهج الزمخشري فى تفسير القرآن وبيان اعجازه، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، بدون، ٣٢.

(٧) الزمخشري: (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري)، ت ٥٣٨ هـ، ١١٤٣ م، ديوان الأدب، مخطوط الثانية بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٢٩ أب، ورقة ١٣.

(٨) الاستيفاء: هى وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة فى الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان، فأكثر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠، مواهب عبد الفتاح: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٨٢ م، ص ١٠٤.

(٩) سبط بن الجوزي: أبو المظفر شمس الدين يوسف قزو أعلى، ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج ٨، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥، ح ٨، ورقة ١٠٩.

(١٠) ابن الجوزي: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ١٠ أجزاء، ط ١، مطبعة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، دار صادر - بيروت ١٣٥٩ هـ، ج ٩، ص ١٢٨.

(١١) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٦، ج ١٢، ص ١٧٣.

وعلى الرغم من اهتمام الوزير نظام الملك بالعلوم الدينية، إلا أنه لم يغفل النواحي الأدبية، بل أن نظام الملك نفسه ساهم في هذه النهضة الأدبية، مما جعله في مصاف الأدياء والمؤرخين والمشرعين الكبار^(١). ولعل أهم اسهامته في هذا المجال كتابه «سياسة نامه» والذي يتضمن معلومات تاريخية هامة في النواحي الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية^(٢).

وكان نظام الملك يميل إلى الشعر، ويقرب إليه الشعراء، ويغدق عليهم الأموال^(٣).

وتزخر «دمية القصر» للباخرزي، بمدح الوزير^(٤).

ومن شعراء خوارزم الذين شملهم نظام الملك برعايته الشاعر الحسن بن المظفر^(٥) النيسابوري، الذي مدح نظام الملك وهو بخوارزم.

الآن صح من الزمان ضمان	وأتى من القدر المخوف أمان
قالوا: خوارزم انطوى إقبالها	وأصحابها الإدبار والخذلان
كذبوا وحق الله فهى بدوله ال	ملك المظفر للسعود قران
جذب الملوك من النواحي نحوها	ملك الورى تاج العلا السلطان
خفق اللواء بها النظامى الذى	منه لأحشاء العدا خفقان
فتأرحجت ريح السعادة سجحا	وأقام فيها الروح والريحان
راعى رضا خليفة الرحمن ما	أوصاه فيها ربنا الرحمن
ولذلك ما أصفاه بالرتب العلا	شاهها نشاه فجل منه الشان
ملك رأى بوزيره أضعاف ما	بيرز جمهر رأى أنوشروان
أمن الورى أن سفل الإيمان فد	تأبى على أعلى الإيمان؟ ^(٦)

(١) نظام الملك: سياسة نامه، مقدمة المترجمة، ص ٥.

(٢) نظام الملك: نفسه، ص ١٧.

(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥٥.

(٤) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.

(٥) الحسن بن المظفر النيسابوري: لقب الخوارزمى، وكان مؤدب أهل خوارزم فى عصره أهل فى عصره، ياقوت الحموى، معجم الأدياء، مج ٥، ص ٩٥.

(٦) الباخري: دمية القصر وعصره أهل العصر، ص ٣٠٠: ٣٠١.

كما كان نظام الملك نفسه شاعرا ومن شعره:

بعد الثمانين ليس لى قوة لهفى على قوة الصبوة
كأننى والعصا بكفى موسى، ولكن بلا نبوة^(١)

ومن شعره أيضا:

محاذرتك عدو صديقك جائزة
ولك فى صحبة أصدقاء صديقك خير
ولا تأمن من الناس لطائفين
أصدقاء عدوك، وأعداء صديقك^(٢)

كما يحسب لنظام الملك أنه أرسى منشآت لير والبر^(٣)، فبنى المدارس^(٤)، تلك المدارس التى انتشرت فى أنحاء المدن الإسلامية^(٥).

والتي حملت اسمه «المدارس النظامية»^(٦)، وأشهرها نظامية بغداد التى أصبحت النواة التى أنشئت عليها المدارس فى المدن الإسلامية ومنها خوارزم^(٧)، وكان على خوارزم من قبل نظام الملك، ابنه عز الملك بن الملك ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، وكانت جميع شئون الحكومة فى يده، وبنى المدارس على غرار المدرسة النظامية فى بغداد^(٨)، هذه المدارس التى بفضلها ازدهرت الحركة الفكرية فى إقليم خوارزم^(٩). وجعل فى هذه المدارس دور للكتب^(١٠) وكان نظام الملك يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختياره، ويجب أن يكون عالما عارفا سنى المذهب شافعيًا أصلا وفروعا له معرفة

(١) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، / ج ٢، ص ٦٠.

(٢) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٢٠٧.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٢.

(٤) ابن الجوزي: شذور العقود، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفيلم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٥٢.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٣.

(٦) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٢.

(٧) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٣١٣، محبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠.

(٨) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ١٦٤.

(٩) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٥.

(١٠) نظام الملك: نفسه، ص ٥، عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.

جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط، جيد الضبط، كتب الكثير من كتب الأدب^(١)، وكان الإقبال على تلك المدارس من الطلاب والعلماء على السواء^(٢).

ولقد ظهر فى إقليم خوارزم، علماء عظماء، أثروا المكتبة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفات العلمية فى شتى أنواع العلوم المختلفة، أشهرهم الزمشرى ت ٥٣٨هـ، ١١٤٣م^(٣).

كذلك كان علم الفلك والتنجيم^(٤) من العلوم التى اهتم بها السلاطين والوزراء، وخاصة «نظام الملك» الذى جمع، الفلكيين والمنجمين، وجعلوا «النوروز»^(٥) أول نقطة من الحمل، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت، وصار ما فعله مبدأ التقاويم^(٦).

وكان للوزير سعيد بن سهل بن محمد بن عبد الله النيسابورى، الأصل، الخوارزمى، المشهور بالفلكى، ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م، وزير إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين، ت ٥٦٨هـ، ١١٧٢م، اهتمام كبير، بعلم الفلك والتنجيم^(٧).

وكان للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م أيضاً، اهتمام كبير بعلم الفلك والتنجيم^(٨)، فقد ألف له الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م، كتاب الأحكام الإعلائية فى الأعلام السماوية «باللغة الفرنسية، وهو مختصر فى الاختبارات النجومية»^(٩).

- (١) محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، ط ٦، ١٩٩٤م، ص ١٥٣.
- (٢) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ٥٦٧.
- (٣) مريزن سعيد مريزن العسيري: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقي مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ٢٦٢.
- (٤) لمزيد من التفاصيل: راجع الفل الثالث، ص ١٤٩ : ١٥٢.
- (٥) النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين أولهما «نو» بفتح وضمها أى «الجديد» وثانيهما «روز» أى اليوم أى اليوم الجديد - أما فى الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية الذى يقع فى اليوم الأول من شهر فرور دين الموافق ٢١ مارس (آذار أى أول فصل الربيع وقد استعملت كلمة (نوروز) فى اللغة العربية، وإن كانت كلمة النوروز أكثر استعمالاً. فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، طبع دار الأحد (البحرين أخوان)، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٣ : ١٤.
- (٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٩.
- (٧) الذهبى: تهذيب سیر أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٦٠.
- (٨) القزوينى: (ذكرباين محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ٥، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٤٠١هـ / ص ١٠.
- (٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ١٩.

كان حاكم إقليم خوارزم في عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ، ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) نوشتكين (٤٧٠ - ٤٩٠ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٩٦ م)، وكان له ولد اسمه محمد، نشأ عاقلاً نجيباً أديباً، فأشغله والده في العلم والأدب^(١).

وعندما توفي نوشتكين ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م، وخلقه ابنه محمد ولقب قطب الدين محمد خوارز مشاه ٤٩١ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م، حاكماً على خوارزم، وكانت دولته ثلاثين سنة^(٢).

وتولى السلطان بركيارق السلطة (٤٨٩ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٥ - ١١٠٤ م)^(٣)، وولى أخاه سنجر خراسان^(٤). فأقر محمد بن نوشتكين على خوارزم، فظهر كفايته^(٥)، وكان عالماً الأمر حيث كان عارفاً بالتفسير^(٦)، وأحسن السياسة، وقرب العلماء، وأغدق عليهم الأول^(٧). ومن العلماء المقربين لخوارز مشاه محمد بن نوشتكين، الطبيب شرف الدين إسماعيل ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م، وكان في خدمته، ولمه من الإنعام الوافر والمرتبة العالية، وكان له مقرر على السلطان في كل شهر ألف دينار، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة في صناعة الطب^(٨). والقاضي صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، قاضي خوارزم، وخطيبها، وتولى التدريس والخطابة والتذكير في مدارس ومساجد خوارزم، وتوفي ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م^(٩)، والمحدث إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن الحسين، ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م، وكان له تدريس علم الحديث في مدرسة خوارزم^(١٠).

ولما توفي محمد بن نوشتكين سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م/ تولى بعده ابنه آتسز ٥٢١ - ٥٥١ هـ، ١١٢٧ - ١١٥٦ م) وأقره السلطان سنجرت ت ٥٥٢ / ١١٥٧ م على ملك خوارزم^(١١).

-
- (١) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٩١.
 - (٢) الذهبي: نفسه، ج ٢، ص ٥٢٢، فامبري: تاريخ بخارى، ص ١٤٧.
 - (٣) أبو الفدا: المختصر، مج ١، ج ٢، ص ٢٠٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٤.
 - (٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٢١.
 - (٥) ابن الأثير: الكامل، مج ٩، ص ١٠، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٣.
 - (٦) الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٢.
 - (٧) الذهبي: نفسه، ج ٣، ص ٩١.
 - (٨) ابن أبي أصيبعة: (موقف الدين أبو العباسي أحمد بن القاسم السعدي)، ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مجلدان، ٣ أجزاء، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط ١٤٠١، ٣ هـ / ١٩١٨ م، ج ٣، ص ٤٨.
 - (٩) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٢٩.
 - (١٠) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٧، ص ١٠٩.
 - (١١) الراوندي: راحة الصدور، ص ٢٢٧، الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٥٢.

وعلى الرغم من الصراع السلجوقي الخوارزمي السلطان سنجر - آتسز خوارز مشاه، الذي بدأ ٥٣٣هـ، ١١٢٨م، وانتهى بقتل طغرل آخر سلطان سلجوقي ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م، لم يقتصر هذا الصراع على الحرب، بل تعدى إلى ميدان الشعر، فأتخذ كل واحد منهما شاعرا أختص بمديح صاحبه وهجو عدوه فلقد حظى الأديب الشاعر محمد بن الجليل العمري الملقب بالرشيد الوطواط ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م، برعاية واهتمام خوارز مشاه آتسز، وجعله شاعره الخاص^(١)، فكان الوطواط يكيل له لمديح ويذم عدو سنجر، كما كان الأنوري^(٢) شاعر السلطان سنجر، يكيل له المديح ويذم عدوه آتسز^(٣).

ففى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، أثناء حصار السلطان سنجر، لقلعة هزاراسب^(٤)، نظم الأنوري، قصيدة فارسية ألقاها فى سهم على القلعة المحاصرة، معناها:

أوه أيها الشاه^(٥) كل ممالك العالم لك
بالخط والسعادة، مملك لك
لتأخذ اليوم واحدة واحدة هزاراسب
وغدا خوارزم ومئه ألف فارس سيكونون لك^(٦)

ورد عليها الوطواط:

أوه أيها الشاه^(٧) لو كان عدوك البطل رستم^(٨) نفسه

-
- (١) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص ١٧٥.
- (٢) هو على بن أوحى الدين محمد بن إسحاق الملقب بالأنوري، ولد سنة ٤٩٢هـ / ١١٠٩م، فى قرية من قرى خراسان، وتعلم الكثير قبل أن يشغل بالشعر إلى جوار اهتمامه بالعلم، وارتفع شأنه فى بلاط سنجر السلجوقي، وصار مادحة وهاجى أعدائه، كما كان واسع الإطلاع فى علم الفلك ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م إدوارد جرنفيل بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة وتعليق د/ أحمد كمال الدين حلمى، ج١، ط١، الكويت، ١٩٩٦م، حاشية ٣، ص ٢٦٧، رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة محمد موسى هندوى، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص ٩١، وما بعدها.
- (٣) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٠٣.
- (٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٧، بارتولد: تركستان، ص ٤٧٨.
- (٥) الشاه: هو السلطان سنجر السلجوقي.
- (٦) الحسينى: زبدة التواريخ، حاشية (٣) ص ١٨٩.
- (٧) الشاه: هو آتسز خوارز مشاه.
- (٨) رستم: من أشهر أبطال الفرس، وكان الشعراء يكثر من ذكره فى أشعارهم، ويضربون الأمثال ببطولته بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ص ٧٦، حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، حاشية ٢، ص ١٠٤.

فهو لن يستطيع أخذ حمار واحد من خيولك الألف^(١)

اغتاظ السلطان سنجر لسماعة هذه الآيات، وأقسم إلا أن يقتله ولكنه صفح عنه^(٢).

وعلى الرغم من هذا الصراع الطويل الذى قام بين السلاجقة والخوارزميين إلا أنهم وجهوا اهتمامهم للنواحى العملية، ولم يؤثر انشغالهم بهذا الصراع على اهتمامهم بالآداب الأدباء والشعر وغير ذلك من النواحى الأدبية^(٣).

لقد تجلت فى عهد السلطان سنجر نهضة ثقافية شملت العلوم والأدب الفارسى، وأصبحت اللغة الفارسية فى عهده لغة الكتابة والآداب، وذلك على الرغم من عدم إلمامة بالقراءة والكتابة^(٤).

ومن وزراء السلطان سنجر الذين كان لهم اهتمام بالعلوم الدينية والأدبية، الوزير نصر الدين محمود المظفر الخوارزمى، فقد كان متبحرا جدا فى العلوم النقليّة والعقليّة^(٥).

وكان آتسر خوارز مشاه، يحترم العلماء ويقربهم إلى، ومن العلماء المقربين لآتسر الطبيب زين الدين إسماعيل بن حسن الحسينى الجرجانى ت ٥٣١هـ / ١١٣٦م، الذى ألف كتابا باللغة الفارسية، فى علم الطب، وسماه أغراض الطب فى مجلدان، حسب أمر الوزير مجد الدين ابى محمد الصاحب، وزير آتسر خوارز مشاه^(٦).

ولقد زخر هذا العصر بالكثير من العلماء والأدباء، فهذا الزمخشري ٥٣٨هـ / ١١٤٣م الذى حظى برعاية آتسر خوارز مشاه، فألف كتاب «مقدمة الأدب» وأهداه إليه^(٧)، وقد شكر ربه فيمقدمته، أن هداه إلى معرفة اللغة العربية، وفقه إلى حبها^(٨).

(١) الحسينى: المصدر السابق، حاشية ٣، ص ١٨٩.

(٢) حافظ أحمد حمدى: المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٣) نظام الملك: سياسة نامه، مقدمة المترجم، ص ٥٠٤.

(٤) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم (السلطان سنجر السلجوقى)، المطبعة التجارية الحديثة،

١٩٨٨م، ص ١٢٤.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٣.

(٦) النظامى العروضى: جهاز مقاله، حواشى المقامة الرابعة، حاشية ٦، ص ١٦٤.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٦٩، الصاوى: منهج الزمخشري، ص ٦١.

(٨) بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ج ١، ص ٧٧.

ولقد جرى بين الرشيد الوطواط والأمام الزمخشري الكثير من الرسائل والمحاورات^(١)، وكثيرا ما كان يبدأ رسائله ببعض أبيات الشعر، منها:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره
تجدد رسم الفضل بعد اندراسه بآثار جار الله فالله جاره^(٢)

هذه الحوارات والمناقشات والمؤلفات إن دلت على شيء، على أن الحياة الفكرية كانت حياة مليئة بالإنتاج العلمي والأدبي.

وبعد وفاة آتسز خوارزم مشاه، تولى ابنه إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين، ملك خوارزم (٥٥١ - ٥٦٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٧٢ م)^(٣) وفي العام التالي ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م، توفي السلطان سنجر بن ملكشاه^(٤)، وخلفه على خراسان ابن أخته «محمود خان» الذي كان آخر سلاجقة خراسان، وطرده منها في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م^(٥).

وظل الرشيد الوطواط يحظى برعاية إيل أرسلان، وجمع في حياته من إنشائه مجموعة «إنشاءات عربية» قدمت لابن إيل أرسلان محمود ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م^(٦).

ونتيجة لاهتمام إيل أرسلان بالعلم والعلماء والأدباء والشعر نظم الشعراء القصائد في مدخه منها قصيدة للرشيد الوطواط أولها:

غدا الأفلاك منحلا حباها لهيبته ومنفلا طبهاها
تذل رقاب أبناء العالي إذا ذكرت علا خارز مشاها
هو ابن جلا ألقى الدواهي كلا كلها على حر حلاها^(٧)

بعد وفاة إيل أرسلان ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، دب الصراع بين أولاده، واستمر الصراع على السلطة، حتى السلطة، حتى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م، عندما استقر السلطان تكش

(١) كارل بروكلمان: الأدب العربي، ترجمة د. / رمضان عبد التواب، راجع الترجمة، د. السعيد يعقوب بكر، ٦ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥، ج ٥، ص ١٤٣.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج ٥، ص ٤٣١.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار النشر، مج ٢، ج ٣، ص ٣٠، ابن الوردي، تاريخ الوردى، ج ٢، ص ٥٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٦، ج ١٢، ص ٢٥٥.

(٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٩، ١٥٠، بارتولد: تركستان، ق ٤٨٥، ٤٨٦.

(٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٥، ص ١٤٣.

(٧) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة القصر، ج ٢، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين فى ملك خوارزم ٥٨٩هـ / ٥٨٦هـ / ١١٩٣ - ١١٩٩م^(١) وتمكن من القضاء على طغرى آخر سلاطين السلاجقة وذلك سنة ٥٧١ - ٥٩٠هـ - ١١٧٥ - ١١٩٣م^(٢) وأزال دولة السلاجقة.

وكان تكش خوارز مشاه، حسن السيرة، عالما، يعرف الفقه وأصوله على مذهب أبى حنيفة^(٣)، وبنى مدرسة فى خوارزم، لأصحاب هذا المذهب^(٤)، ولقد اهتم بالعلوم العقلية والعقلية، وحظى العلماء فى عصره برعايته، ونتيجة لاهتمام تكش بالعلماء، ألف له العلماء الكتب، ومنهم فخر الدين محمد الرازى، المتوفى ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ الذى ألف كتابا بالفارسية أسماه «جامع العلوم»، وهو كتاب مفيد جدا^(٥).

كذلك كان للوزير نظام الملك الدين مسعود بن على وهو ممن وزر لخوارز مشاه تكش ٥٨٩ - ٥٩٦هـ / ١١٩٣م - ١١٩٩م^(٦) عالما بالفقه وأصوله، على المذهب الشافعى، ولقد اهتم ببناء المدارس، فبنى المدرسة النظامية بخوارزم^(٧)، ومن فضلاء هذه الفترة أبو المكارم، بن السيد بن على، وكان عالما بالفقه، على المذهب الحنفى، وتفقه عليه ابنه ناصر، صاحب كتاب «المغرب» تكلم فيه على الألفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغرب^(٨). فكان جامعا قاصدا مذهب أبى حنيفة^(٩).

(١) ابن العبرى: تاريخ مختصر للدول، ص ٢١٥، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج ٢، ج ٣، ص ٥٣، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج ٢، ص ٧٩.

(٢) راجع ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٢٣٢: ٢٣٣.

(٣) القرشى الحنفى: محبى الدين ابن محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله ابن سالم بن أبى الوفا القرشى الحنفى، ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، تحقيق د. / عبد الفتاح محمد الحلو، ٥ أجزاء، ط ١، هجر للطباعة والنشر، والتوزيع القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٤٧٣.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٤٢.

(٥) حاجى خليفة: (مصطفى عبد الله القسطنطى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الجلبى، ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مجلدان، دار الفكر للطباعة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، مج ٢، ص ٥٦٥.

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩.

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ابن كثير: البداية والنهاية، مج ١٣، ج ٧، ص ٢٩.

(٨) الذهبى: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى)، ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. بشار عواد معروف، ٢٠ مجلد، ط ٢، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، مج ١٨ قسم ١، وفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ، ص ٤١٥، ابن القرشى الحنفى: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ٣٧٠.

توفي خوارزمشاه تكش سنة ٥٩٦هـ / ١١٩٩م، وقام بعده ولده علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠م)^(١)، وكان فاضلا، عالما بالفقه والأصول، مكرما للعلماء يحب مناظرتهم، ويتبرك بأهل الدين^(٢)، وليس أدل على ذلك من أنه أقطع العالم والمفسر الجليل، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازي، إقطاعا يدر عليه كل سنة ألف دينار^(٣)، وكان علاء الدين خوارزمشاه يأتي إليه، لمناظرته وبين أهله كلام فيما يرجع إلى المذهب والعقيدة^(٥).

ومن العلماء الذين وجدوا رعاية خاصة من السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، الشيخ الفاضل العالم شهاب الدين الخيوقى، ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م، وكان نائب السلطان فى جميع مملكته، فكان إذا دخل مدينة كان المدرسون والقضاة والعلماء يحضرون دروسه، وكان شافعى المذهب متعصبا لأصحابه^(٦)، وقد جمع إلى الفقه، اللغة والطب، وسائر العلوم والفصاحة^(٧)، وكان إليه تدريس خمس مدارس بخوارزم^(٨).

ومن الوزراء الذين كان لهم اهتمام بالعلم والعلماء، الوزير هلاء الملك العلوى، وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه وكان عالما فاضلا متقنا للعلوم والأدب، كما كان شاعرا من أصحاب اللسانين العربى والرسى، وكان قد تزوج بابنة الخى فخر الدين الرازى^(٩).

ومن وزر للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، الوزير نظام محمد بن صالح، وكان له اهتمام بالكتابة والأدب، ولم يكن له مثيل فى الوقت فى حسن خطه وفرط جدوده وكرمه^(١٠).

-
- (١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٢، ج ٢، ص ٢٣٤، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٢.
 (٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣/ ص ١٩٣.
 (٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣٦.
 (٤) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج ١٨، قسم ١، ص ٢٣٣.
 (٥) الذهبى: نفسه، مج ١٨، قسم ١، ص ٢٣٤.
 (٦) القرمانى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩.
 (٧) النسوى: (محمد بن أحمد النسوى)، ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م، سيره السلطان جلال الدين منكبرى، تحقيق د/ حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى، ١٩٥٣م، ص ١٠٩.
 (٨) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرى، ص ١٠٩.
 (٩) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣٩.
 (١٠) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣١٠.

توفى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٧هـ / ١١٢٠م وخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي^(١).

وعلى الرغم من انشغال السلطان جلال الدين بالجهاد ضد المغول، إلا أن وزيره شرف الدين الملك فخر الدين على الجندی، كانت له أياد بيضاء، فى الاهتمام بالعلم، وقد انفق شرف الملك الكثير من الموال، كان متصفا برقه القلب وصفاء العقيدة لدرجة أنه حينما كان يقرأ القرآن الكريم كانت الدموع تنهمر على خدى^(٢).

ومن حظى باهتمام السلطان من الأدباء والكتاب، محمد بن أحمد النسوى، ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م، فقربه وألحقه إلى خدمته، وأصبح كاتبه^(٣).

ومن العلماء الذين برزوا، فى هذه الفترة، العالم يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على^(٤)، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، من أهل خوارزم، وكان أحد أفاضل العصر، ومن مصنفاته - كتاب: مفتاح العلوم^(٥)، والعالم الفاضل محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى ت ٦٣٥هـ / ١١٤٠م، الذى صنف كتاب ملتقط المعالم فى التفسير، وهو مؤلف جليل القدر والشأن^(٦).

هكذا بفضل رعاية واهتمام السلاطين والوزراء والحكام والحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، زحرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلم ومؤلفاتهم، بكافة ألوانها ومذاهبها، وأصبح هذا الإقليم مركزا من مراكز الإشعاع الثقافى الذى بثه فى الإقليم المجاورة.

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الأول، حاشية ٣، ص ٤٩.

(٢) خوادمير: دستور الوزراء، ص ٣١٢.

(٣) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٨٧.

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ٦٤٧.

(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٧٦٢.

(٦) الأدنة وى: (أحمد بن محمد الأدنة وى) من علماء القرن الحادى عشر، طبقات المفسرين، تحقيق د. سليمان بن صالح الخزى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٢٢٩.

ثانياً: مراكز العلم في إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي

بعد أن تحدثنا عن اهتمام السلاطين والحكام ووزرائهم بالعلم والعلماء نستعرض المدن العلمية التي كانت المراكز الأساسية للحركة الفكرية خلال العصرين السلجوقي والخوارزمي.

١ - الجرجانية (كركاج)

بضم الجيم، وسكون الراء، وفتح الجيم، بعد الألف نون مكسورة، وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة^(١)، وهذا اسمها بلغة العرب، أما بلغة أهل خوارزم فاسمها (كركانج)^(٢)، بضم الكاف، والراء بين الكافين، والنون بعد الألف وفي آخرها الجيم^(٣).

والجرجانية في مقدمة مراكز العلم في إقليم خوارزم، وكانت عاصمة خوارزم في العصر الغزنوي، وكذا في العصر السلجوقي، ثم أصبحت عاصمة خوارزم، وقصبتها العظمى في عصر الدولة الخوارزمية^(٤).

وتقع على الجانب الجنوبي لنهر جيحون^(٥)، أي الفارسي، أي الغربي لإقليم خوارزم^(٦). ومساحتها نحو تسعة أميال في مثلها^(٧)، من حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة^(٨).

والجرجانية مدينتان، الكبرى بينها وبين الصغرى نحو ثلاثة فراسخ^(٩)، وطولها

- (١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٧٤.
- (٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٣١، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٧٧.
- (٣) السمعاني: (أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني)، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، الأنساب، ٦ مجلدات، تحقيق د/ محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، مج ٤، ص ٦١٠.
- (٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٣١، الحميري: الروض المعطار، ص ١٦٢.
- (٥) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٧٧.
- (٦) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٨٩.
- (٧) الحميري: الروض المعطار، ص ١٦٢.
- (٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.
- (٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٣١.

أربع وثمانون درجة وخمس دقائق، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة^(١)، أما الكبرى فهي أربعة أبواب، محصنة بالخنادق، والأبواب الحديد والجسور ومليئة بالأسواق والجوامع^(٢).

كان بلاط الجرجانية مزدهرا، منذ أن كان عاصمة خوارزم في العصر الغزنوي، وخاصة عصر الأسرة المأمونية (٣٨٠ - ٤٠٨ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٧ م)^(٣)، وكان سبب ازدهار خوارزم العلمي، وجود أبي على ابن سينا ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م، وأبي الريحان البيروني^(٤)، ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م، وغيره من علماء العصر في الجرجانية^(٥).

وكان لابن سينا هذا مؤلفاته العلمية التي ملأت بلاط الجرجانية، ومكتباتها، وكانت نواه للعصور اللاحقة، في إقليم خزاروم، وغيره من الأقاليم والمدن المجاورة، حيث مارس الطب في خوارزم^(٦)، كما ألف في المنطق "القصيدة المزدوجة"، ألفها لأبي الحسن بن سهل بن محمد السهلي، كما ألف له رسالة في الكيمياء^(٧).

أما البيروني الخوارزمي، ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م، فإن مؤلفاته العلمية، ظلت نواة للعلوم العقلية لكل عالم في هذه العلوم، في إقليم خوارزم.

ومن ينسب إلى الجرجانية (كركانج)، أبو نصر المروزي محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي (٣٩٠ - ٤٨٤ هـ / ٩٩٩ - ١٠٩١ م)، سكن جرجانية خوارزم مدة، فنسب إليها، وكان عالما في القراءات والأدب^(٨)، وابنه عبد الرحمن ب محمد الكركانجي، وكان إمام فاضل في القراءات وعلومها^(٩)، وابن ابنه محمد بن عبد الرحمن الكركانجي، وكان شيخا صالحا^(١٠).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠.

(٣) النظامي العروضي: جهاز مقاله، حواشي المقالة الرابعة، حاشية ١٩، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) البيروني: بكسر الباء الموحدة وسكون الياء، وضم الراء، بعدها الواو وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى خارج خوارزم، فإن بها من يكون من خارج البلد، ولا يكون منها يقال له: فلان بيروني هست، يقال بلغتهم انبيذك هست. السمعاني: الأنساب، مج ١، ص ٤٥١.

(٥) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨٣.

(٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ١١١.

(٧) ابن أبي أصيبعة: نفسه، ج ٣، ص ٢٧ - ٢٨.

(٨) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٣١.

(٩) السمعاني: الأنساب، مج ٤، ص ٦١٠.

(١٠) السمعاني: نفسه، مج ٤، ص ٦١٠.

أ - درغان:

بفتح أوله وسكون ثانيه وغين معجمه فى أخره نون^(١)، وهى ثانى أكبر المدن بعد الجرجانية^(٢)، وتقع على شاطئ جيحون، وهى أول حدود خوارزم من ناحية أعلى جيحون^(٣)، وهى مدينة على جرف عال وذلك على سن جبل بناحية البر منها رمال وبينها وبين جيحون ميلان^(٤)، وكانت تقع على مسيرة يومين من أسفل الظاهرية^(٥). وفى وصف المقدسى^(٦) لها يقول: "ولها جامع حسن ليس بالناحية مثله فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة".

ومن ينسب إليها: الإمام أبى إبراهيم إسماعيل بن الحسين، الدرغانى، كان عالما بالفقه وأصوله، على مذهب أصحاب الشافعى، وهو أستاذ محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى، المفسر الفقيه، المتوفى ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م^(٧).

ومن ينسب إليها أيضا: أبو بكر محمد بن أبى سعيد بن محمد الدرغانى، روى عن المظفر السمعانى ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م^(٨)، صاحب كتاب الأنساب، وحينما زار ياقوت الحموى خوارزم، رأى درغان ويقول: حدثنا عن الدرغانى: أبو المظفر عبد الرحيم بن ابى سعد^(٩) عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى^(١٠).

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٤، ص ٢٩٧ .

(٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .

(٣) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٨١ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٤، ص ٢٩٧ .

(٥) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٢٤٨ . الظاهرية: ناحية على جيحون فى أعلاه بعد أمل وهى أول عمل

خوارزم ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٦، ص ٢٤١، محمود شيث: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر، ص ٤٤ .

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٣٢٠ .

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٠٧ : ١٠٨ .

(٨) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى: محدث الشرق، وصاحب التصانيف المفيدة الممتعة: راجع السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ١٨٠ وما بعدها .

(٩) معجم البلدان، مج ٢، ج ٤، ص ٢٩٧ .

(١٠) هو عبد الرحيم بن أبى سعد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور، راجع السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٨١ .

ب - خيوق (خيوه):

بفتح أوله وقد يكسر^(١) وسكون ثانيه وفتح الواو أخره قاف^(٢) وهى على فم المفازة وبها جامع عامر على الشط^(٣)، وهى بلد حصين بينها وبين الجرجانية نحو خمسة عشر فرسخا وأهل خوارزم يقولون خيوة، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية^(٤)، ومن علمائها وشيوخها، الذين ينسبون إليها بالخيوقى، شهاب الدين أبو سعد ابن عمران الخيوقى، وكان فقيها فاضلا مبرزاً مفتياً على المذهب الشافعى رضى الله عنه وقد جمع إلى الفقه، اللغة والطب وسائر العلوم والفصاحة واللسان والتدبير الحسن، ونال عند السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ت ٦١٧ هـ / ١١٢٠ م، والسلطان جلال الدين منكبرتى ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م، من الرتبة مالم يبلغه أحد^(٥)، حيث كان نائب السلطان فى جميع المملكة، وكان متعصباً لأصحاب المذهب الشافعى، وكان إذا دخل مدينة ذهب إليه الفقهاء وقرأوا عليه محفوظهم^(٦).

ج - زمخشري:

بفتح أوله وثانية ثم خاء معجمه وفتح الشين، وراء مهملة^(٧)، قرية كبيرة، من قرى خوارزم^(٨)، حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون وخمس وأربعون دقيقة^(٩)، ويقول ابن القفطى^(١٠): "أنه سمع من أحد التجار يقول: أن العمارة لما كثرت فيها وشملتها، صارت من جملة محالها"، وينسب إليها العالم الفاضل أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري ت ٥٣٨ / ١١٤٣، كان

(١) الخاء: مكسورة عند القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٨، عند المقدسى "خيوه" بكسر الخاء، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠.

(٤) ياقوت الحموى: البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٥) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١٠٩.

(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩.

(٧) ياقوت الحموى: البلدان، مج ٢، ج ٤، ص ٤٨٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.

(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.

(١٠) (جلال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى)، ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م، أبناء الرواة على أبناء

النحاة، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، ط ١، دار الفكر العربى، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج ٣، ص ٢٦٥.

بالغا فى علم العربية وعلم البيان، وله تصانيف حسنة ليس لأحد مثلهما فى فصاحة الألفاظ وبلاغة المعانى مع إيجاز اللفظ، حتى لو أن أحدا أراد أن ينقص عن كلامه، حرفا أو يزيد فيه بان الخلل، وذهب إلى مكة وجاور بها فسمى جارا لله^(١).

وحكى ابن أخت الزمخشري، قال: ولد خالى بزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، وتوفى بجرجانة خوارزم، ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م^(٢).

وللزمخشري هذا مؤلفاته ومصنفاته التى أثرت الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى شتى المجالات العلمية.

د - ساوكان:

زمن مدن وقرى الجرجانية التى ينسب إليها بعض العلماء ساوكان^(٣): بفتح السين وسكون الواو بعد الألف وفتح الكاف، وفى آخرها النون^(٤)، ولقد رآها ياقوت الحموى سنة ١٧ هـ / ١٢٢٠ م، عامرة أهله^(٥). ومن ينسب إليها أبوسعيد أحمد بن على بن أحمد بن أحمد الجلابى الساوكانى، وكان إماما فاضلا، شديد السيرة، متواضعا سكن خيوه^(٦)، ويقول السمعانى: سمعت منه شيئا يسيرا بخيوة (خيوق) وكانت ولادته بقرية ساوكان فى شهر ربيع الأول سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م^(٧).

هـ - كردرانخاس^(٨):

وهى من قرية الجرجانية^(٩)، وينسب إليها: محمد بن أحمد بن أبى بكر أبو عبد الله، الكردرانخاسى، من أهل خوارزم، وتفقه بالأقاليم، وبغيره، وسمع الحديث من

(١) القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٣٣.

(٢) الأنبارى: (أبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى)، ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٣٣٨.

(٣) ساوكان: الواو مفتوحة عند ياقوت: البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ١٤.

(٤) السمعانى: الأنساب، مج ٣، ص ٢٢٩.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ١٤.

(٦) السمعانى: الأنساب، مج ٣، ص ٢٢٩.

(٧) السمعانى: الأنساب، ص ٢٢٩.

(٨) يسميها كردران خواش كل من الأضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥.

(٩) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩.

أبى بكر السمعاني، وسمع منه "صاحب الكافي" ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان. وقال فيه: الشيخ الفقيه الدين، الورع. وأقام بقريته كردرانخاسية، فكان هو العالم، والواعظ، والخطيب بها، وكان ثقة، صالحاً، توفي في شهر شوال سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦١ م^(١).

و- سافردز^(٢)؛

بعد الألف فاء ثم راء ساكنه ثم دال مهملة مفتوحة وآخره زاي، قرية على جيحون قريبة من أمل الماء على طريقهم خوارزم. نسب إليها بعض الرواة^(٣). منهم أبو بكر محمد بن داود بن عصام بن سلام السافردري^(٤).

ز- تمرتاش؛

ومن قراها أيضاً: تمرتاش: بضم تين وسكون الراء وتاء أخرى وألف وشين معجمه^(٥)، قال بعض فضلائها:

حللنا تمرتاش يوم الخميس وبتنا هناك بدار الرئيس^(٦)

ومن ينسب إليها أحمد بن أبي ثابت إسماعيل بن محمد بن أيدغمش التمرتاشي الخوارزمي الحنفي ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م، ومن مصنفاته فتاوى التمرتاشي، وفرائض التمرتاشي، وكتاب التراويح^(٧).

٢ - نوزكاث (كاث)؛

بعد الألف ثاء مثلثة^(٨)، ومعنى الكاث بلغة أهل خوارزم، الحائط في الصحراء من

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٧، ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) سافردز: ذكرها السمعاني سافردز: الأنساب مج ٣، ص ٢٢٢، ذكرها المقدسي: سدف، أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ٩.

(٤) السمعاني: الأنساب: مج ٣، ص ٢٢٢، ولم يذكر تاريخ وفاته.

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ١، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٦) ياقوت الحموي: نفسه، مج ١، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٧) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون)، مجلدان، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، مج ١، ص ٨٩.

(٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٧، ص ١١٢، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٤.

غير أن يحيط به شيء^(١)، وكان الفرس يسمونها شهرستان على حسب قول المقدسي^(٢)، الذى يصفها بكثرة العلماء والأدباء والقراء^(٣)، أما ابن حوقل^(٤) فيسميها كاث درخاش، وكان لها جامع وسط الأسواق^(٥)، ودار خوارزمشاه عند المسجد^(٦)، ولها قلعة، خربها النهر، وقد أتى عليها والجامع فلم يبق منها رسم ولا طلل^(٧)، فابتنى الناس مدينة جديدة^(٨)، إلى الشرق من الأولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه^(٩) سماها ياقوت الحموى فى معجمه^(١٠): نوزكات، بعد الواو زاي وأوله مضموم وأخره ثاء مثله، ونوز معناه بلغة الخوارزمية الجديدة وكأن معناه الحائط الجديد، فكانهم قالوا كاث الجديدة.

وتقع فى الجانب الشرقى من نهر جيحون^(١١)، أى التركى من النهر^(١٢).

ومن ينسب إليها من الأفاضل: محمد بن أحمد بن سعد بن موسى بن أحمد بن كعب بن زهير العقيلي الكاثى، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، تفقه على أبيه، وكان من مشاهيرها، وفضلائها وفقهائها، وتولى القضاء، والخطابة بكاث، حتى توفى بها وجلس ابنه سعيد بن محمد الكعبى، مكانه فى القضاء، والخطابة^(١٣).

ومن ينسب إليها أيضا الفقيه محمد بن إبراهيم بن الحسين بن أحمد بن عبد الله، الكاثى، ولى قضاء كاث بعد سعيد بن محمد الكعبى، وتوفى فى محرم سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م^(١٤).

ومن ينسب إليها من رجال الحديث: مظهر بن سديد بن على بن أحمد بن عبد

-
- (١) ياقوت الحموى: نفسه، مج ٤، ج ٧، ص ١١٢.
 - (٢) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٠.
 - (٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٢٥٢.
 - (٤) صورة الأرض: ص ٣٩٥.
 - (٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٢٥١.
 - (٦) الأصبخري: المسالك والممالك، ص ١٦٨، لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٤٩٠.
 - (٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، لسترنج: نفسه، ص ٤٩٠، ٤٩١.
 - (٨) وهى كاث الجديدة، وبينها وبين القديمة خمسون فرسخا، وهى من أجمل مدن خوارزم، القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٤.
 - (٩) الأصبخري: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥.
 - (١٠) معجم البلدان: مج ٤، ج ٨، ص ٤٠٧.
 - (١١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩.
 - (١٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٠.
 - (١٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ٩٣: ٩٤.
 - (١٤) السبكي: نفسه، ج ٤، ص ١١٤.

الله، النوزكاشي، المقتول بيد المغول سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، وكان حافظاً لأسماء رجال الحديث عارفاً به، وله كتب كثيرة في الحديث^(١).
ولقد رآه ياقوت الحموي عندما زار خوارزم وأجاز له^(٢).

ومن مدن وقرى كاث:

أ - **مدينة كردر:** وهي من أكبر مدن كاث وأحصنهم^(٣)، أو مايتاخمها من نواحي الترك، لهم لسان ليس خوارزميا، ولا تركيا^(٤).

ومن ينسب إليها من العلماء: عبد الغفور بن لقمان بن محمد، أبو المفاخر الكردي، الملقب، تاج الدين ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، وكان إمام الحنفية، وله التصانيف المفيدة في الفقه والأصول، وتلقب شمس الأئمة، وكان على غاية من الزهد ومن تصانيفه، "كتاب شرح التجريد"، و"شرح الجامع الصغير" يذكر لكل باب أصلاً، ثم خرج عليه المسائل^(٥).

ب - **براتكين^(٦) (براتقين):** قرية كبيرة من قرى مدينة كردر لها سوق عامر الجامع فيه،^(٧) ومن ينتسبون إليها فقيه المشرق شمس الأئمة أبو الوحدة محمد بن عبد الستار محمد العمادي الكردي الحنفي البراتقيني، ولد سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م، وتوفي ببخارى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م^(٨)، ومن تصانيفه كتاب "تأسيس القواعد" وهو كتاب عصمة الأنبياء^(٩)، وبرع في المذهب وأصوله وتفقه عليه خلق كثير^(١٠)، منهم ابن اخته محمد بن محمود بن محمود بن عبد الكريم الكردي المعروف بخواهر زاده العلامة بدر الدين وكان من الأئمة، توفي سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م، ودفن عند خاله^(١١).

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٤٠٧.

(٢) معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٤٠٧.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٢٩.

(٥) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٦) براتكين: أسماها قراتكين عند ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، براتقين: عند الذهبي: تهذيب

سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦١.

(٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩.

(٨) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٦١.

(٩) حاجي خليفة: كشف الظنون، مج ١، ص ٣٣٣.

(١٠) الذهبي: المصدر السابق، ص ٢٦١.

(١١) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٣، ص ٣٦٣، ٣٦٢.

ثالثاً: المعاهد العلمية

بعد أن عرضنا المدن العلمية التي كانت المراكز الأساسية للحركة الفكرية، فقد ظل إقليم خوارزم، وقصبتها العظمى الجرجانية مركزاً أساسياً من مراكز الحركة الفكرية، مما كان له الأثر في قيام العديد من معاهد التعليم، التي خرجت العديد من العلماء المفسرين والمحدثين والفقهاء والأدباء، والشعراء، وغيرهم ممن كان لهم دورهم في نشر جميع أنواع العلوم والمعرفة، وذلك عن طريق نتائجهم العلمي الضخم الذي تجلّى في العصرين السلجوقي والخوارزمي.

أ - الكتاتيب:

كانت الكتاتيب في الإسلام مكاناً يتعلم فيه الصبيان الكتابة والقراءة إلى جانب القرآن الكريم^(١)، كما عني معلمو البنات بتحفيظهن القرآن^(٢)، ويقول ابن خلدون^(٣) في تعليم الصبيان "اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب في رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، واختلف طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم في اعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات".

ولقد عرف المسلمون نوعين من الكتاب. الأول: الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالباً في منازل المعلمين، والثاني الكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي^(٤).

(١) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ط ٦، دار المعارف، بدون ص ٧٨.

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ط ٢، دار المعارف، ص ١١٥، محمد عطية الأبراشي: التربية في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ م، ص ٤٦.

(٣) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسي، أ.م. كاترمير، ٣ مجلدات، طبعة باريس سنة ١٨٥٨ م، مكتبة لبنان - بيروت، مج ٣، ص ٢٦٠.

(٤) عبد الله عبد الدايم: التربية في التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين)، ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م، ص ١٤٦.

كان معلمو الكتاتيب الخاصة يسمون المؤدبون ويحظون بمكانة طيبة، بخلاف معلمى الكتاتيب الذين حرموا من تلك المنزلة^(١).

ويوصى الغزالي^(٢): بأنه على الصبى أن يتعلم فى الكتاب، القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله".

ومما يؤسف له أن يسعى البعض إلى مهاجمة مهمة الكتاب ونعتها بأنها على طريقة أدت إلى جمود التعليم وعدم تطوره بحجة أن الكتاتيب والعاملين فيها قد اقتصرُوا فى غايتهم على تحفيظ القرآن الكريم للنشء، وتلقينهم أصول الدين، والبعد عن المسائل الدنيوية مما أدى إلى عدم قدرة متعلمى الكتاب على الخوض فى العلوم العقلية التى تدور أحياناً حول المور الدينية^(٣).

الواقع أن هذا الرأى بجانب للحقائق التاريخية الواضحة التى تؤكد شمولية التعليم فى الكتاب، وامتزاجه مع التربية، وأن الكتاتيب ما هى إلا المرحلة التمهيدية التى تهئ الصبيان لمرحلة الدراسة التالية فى المساجد وحلقات الشيوخ التى كانت تقوم بدور بارز فى التعليم منذ صدور الإسلام^(٤).

وفى الحقيقة أن الكتاب كان له دور بارز فى تعليم الصبيان القرآن وغيره من العلوم الأخرى، حيث أنه المعهد العلمى الأول الذى هيا للطلاب أسباب العلم والمعرفة^(٥).

وقد ظهر فى كتاب حوارزم بعض المعلمين (المؤدبين) الموهوبين الذين لمعوا فى المجتمع الإسلامى، من أشهرهم الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابورى، ثم

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى، مستقاه " من تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي، ترجمة وتلخيص وتعليق د/ سامى الصقار، دار المريح، الرياض، السعودية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٧ م، ص ٥٢ .

(٢) (أبو حامد محمد الغزالي)، ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، إحياء علوم الدين، ٥ مجلدات، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، بدون، ج ٣، ص ٧٨.

(٣) أحمد فؤاد الأهواني: التربية فى الإسلام، ص ٧٣ - ٧٧، رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق خلال العصر البهيوه (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق ص ٢١٦، على بن محمد بن سعيد الزهرانى، الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، (٢١٢ - ٤٨٤ هـ / ٦٢٨ - ١٠٩١ م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، ص ٢٢٥ .

(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٥١ .

الخوارزمي، وكان مؤدب أهل خوارزم، وشاعرهم وفقههم، هو شيخ أبي القاسم الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م^(١).

وبذلك كانت الكتابات في المعهد العلمي الأول لتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ الدين الإسلامي وغيره من العلوم الأخرى .

ب - المساجد:

يعتبر المسجد أهم المعاهد العلمية الإسلامية، منذ الفتح الإسلامي لإقليم خوارزم سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م، ولذلك عني الخلفاء والأمراء والقادة الفاتحون، ببناء المساجد، حيث كان الوليد بن عبد الملك ٨٦١ - ٩٦ هـ / ٧٠٣ - ٧١٣ م، شديد الكلف بالعمارات والأبنية، خاصة المساجد^(٢)، وزادت عمارة البلاد في العصر العباسي، وكذا في عصر الدويلات المستقلة التي حكمت خوارزم^(٣)، خاصة العصر السلجوقي، واستمر بناء المساجد في العصر الخوارزمي^(٤) وفي ذلك يقول السبكي^(٥): نقلا عن "تاريخ خوارزم" لمحمود بن محمد بن العباس بن أرسلان المتوفى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، فقال: سمعت عددا من المشايخ يقولون كان بمنصورة "خوارزم" اثنا عشر ألف مسجد، فإن فيها اثني عشر ألف سكة في كل سكة مسجد .

وبذلك بلغت عمارة المساجد في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي أقصى درجاتها.

وعمارة المساجد من أهم الأعمال التي ترضى الله سبحانه وتعالى^(٦)، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾^(٧) .

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج ٣، ص ٩٥ .

(٢) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص ١٢٧ .

(٣) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل التمهيدى، ص ١٤ - ٢٢ .

(٤) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي أصوله فلسفته، مدارس، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ص ٢١٢ .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٦) على عبد الحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦ .

(٧) سورة التوبة: الآية ١٧ - ١٨ .

وقد استعملت المساجد كمعاهد للتعليم^(١)، وكان من يريد أن يكمل تعلمه بعد الكتابات عليه الذهاب إلى حلقات المساجد، وكان أشبه بمعاهد عليا، فلم تكن فقط دورا للعبادة، بل كانت أيضا دورا، بل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى^(٢)، وكان على العالم إذا تعددت الدروس في هذه الفروع أن يقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم النحو وغيره من العلوم الأدبية^(٣)، لكي تساعد على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وكان بعض القراء والمحدثون يفتحون مجالس دروسهم بإنشاء الشعر ويختمونها به^(٤).

واشتهر إقليم خوارزم بكثرة مساجده، وتدلن اكتب الرحالة والجغرافيون والمؤرخون على كثرة هذه المساجد، وأثرها في الحياة الفكرية .

يذكر المقدسي^(٥): إن الجرجانية أربعة أبواب، وأن كل باب به جامع في الأسواق وعلى طرف الأسواق .

ومن الفقهاء الذين كان لهم مجلس علم في مساجد الجرجانية، عبد الغافر بن إسماعيل بن الغافر بن محمد بن عبد الغافر، الشافعي، الفارسي، ثم النيسابوري (٤٥١ - ٥٢٩ هـ / ١٠٥٩ - ١١٣٤ م)^(٦)، وكان إماما في الحديث والعربية، وقرأ القرآن الكريم، ورحل إلى إقليم خوارزم، وعقد له مجلس علم في مساجده^(٧)، ومن مصنفاته "كتاب مجمع الغرائب" في غريب الحديث، وكتاب "السياق لتاريخ نيسابور"، وكتاب "المفهم" لشرح مسلم^(٨). وسمع منه في خوارزم الفقيه، إسماعيل بن أحمد بن حسين البيهقي^(٩) الخسروجردي الشافعي^(١٠)، المتوفى ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م، فحدث عنه وعن

(١) أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص ١٢١ .

(٢) شوقي صيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ١١٧ .

(٣) ابن جماعة: (بدر الدين ابن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكنانى)، ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ص ٣٦، ٣٥ .

(٤) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٥١ .

(٥) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .

(٦) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ١٧١ .

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ٢٢٥ .

(٨) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٤٣ .

(٩) البيهقي: بفتح الباء المنقوطة "بواحدة" وسكون الباء، وبعدها الهاء وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيهق، وهي قرية مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخا . السمعاني: الأنساب، مج ١، ص ٤٦١ .

(١٠) الخسروجردي: بضم أوله، وجرى بالجيم المكسورة والراء الساكنة والذال، وجيمه معربة عن كاف، ومعناه عمل خسرو لأن كرى بمعنى عمل، مدينة كانت قصة بيهق من أعمال نيسابور، أما الآن فقصة بيهق سبزووار، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٣٤ .

غيره، في مساجد خوارزم^(١)، وعقدت له مجالس العلم، وولى الخطابة، والتدريس للشافعية^(٢)، مدة عشرين سنة، وكان يحضر مجلسه، محمود بن محمد بن العباسي بن أرسلان، المتوفى ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م^(٣)، فصار فقيها محدثا مؤرخا^(٤).

ومن المفسرين والمحدثين والفقهاء، ممن كان لهم مجلس علم في مساجد الجرجانية، الزمخشري الحنفي المعتزلي (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م)، صاحب الكشف في تفسير القرآن^(٥)، وكان طلاب العلم، يأتون إليه، من كل مكان^(٦)، وتتلذذ على يديه العديد من طلاب العلم، الذين ساروا، من أنبغ علماء العصر، وأحب تلاميذه، ضياء الدين المكي، الذي شرح "الأنموذج في النحو"، وسماه "كفاية النحو في علم الإعراب"، وكتبه حوالي ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م^(٧)، أما تلميذه محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي، المتوفى ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، فقد سمع منه الحديث وأخذ عنه العربية والإعراب، حتى صار إماما في الأدب واللغة والحديث^(٨)، وخلفه في حلقاته في المسجد، وصنف تفسير القرآن، وشرح الأسماء الحسنى^(٩) وصنف أذكار الصلاة، الهداية في المعان والبيان، التنبيه على إعجاز القرآن وغير ذلك^(١٠).

ومن الوعاظ في مساجد خوارزم، الموفق بن أحمد بن محمد المكي، خطيب خوارزم، ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، تتلمذ على الزمخشري في اللغة العربية، ومن تلاميذ الموفق ناصر بن عبد السيد المتوفى ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م^(١١).

ولم تكن مدينة الجرجانية بمساجدها وعلمائها، إلا صورة واضحة لكل مدن هذا الإقليم^(١٢).

-
- (١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٧، ص ١٣٤.
 - (٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٤٤.
 - (٣) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٨٩.
 - (٤) لسبكي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٨٩.
 - (٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٦٨.
 - (٦) ابن القفطي: أنباء الرواة، ج ٣، ص ٢٦٦.
 - (٧) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٥، ص ٢٣٨.
 - (٨) السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي)، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، تحقيق د/ أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج ١، ص ٢١٥.
 - (٩) الأدنة وي: طبقات المفسرين، ص ١٩٥.
 - (١٠) القرشي الحنفي: الجواهر المضية، ج ٤، ص ٣٩٣.
 - (١١) القرشي الحنفي: نفسه، ج ٣، ص ٥٢٣.
 - (١٢) صبري سليم: الأثر الكوارزميين، ص ١٧.

ويذكر المقدسي^(١): أن مدينة درغان ثاني أكبر المدن بعد الجرجانية، لها جامع حسن ليس بالناحية مثله، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة، ومن فقهاء درغان، الفقيه أبى إبراهيم إسماعيل بن الحسين الدرغانى، وكان عالما بالفقه وأصوله على المذهب الشافعى، وكانت له حلقة فى مسجد درغان، وتلمذ على يديه ابن عباس بن أبى أرسلان الخوارزمى، المفسر والفقيه المتوفى ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م^(٢).

ومن فقهاء أصحاب مذهب أبى حنيفة، عبد الخالق بن عبد الحميد بن عبد الله، الوبرى^(٣) الخوارزمى الضرير، الفقيه، وكان من رؤساء أبى حنيفة وأئمتهم، عالما مناظرا، متكلمنا أصوليا فصيحنا، حافظا للغة والأشعار، أستاذنا يشار إليه فى الفنون الأدبية، وإليه كانت الفتوى والتدريس بمسجد خوارزم^(٤)، وتفقه على يديه على بن عراق الصنارى، ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م، وبعد أن صار فقيها، رحل إلى قرية مذانة، من قرى خوارزم، وتوطنها، وكان يعظ فى المسجد الجامع بها غداة الجمعة، كما كان شاعرا، حافظا للغات الغربية^(٥)، ومن مصنفاته "شماريخ الدرر فى التفسير"^(٦).

لقد اهتم سلاطين وحكام ووزراء خوارزم ببناء المساجد، لتدريس العلوم الدينية والأدبية، فقد كان معظم حكام خوارزم، فقهاء على مذهب أبى حنيفة، كما كان وزراءهم، المساجد الوزير نظام الملك الطوسى، (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م)، وأوقف عليها الوقوف، وشرط أنها وقف على أصحاب الشافعى أصلا وفروعا^(٧). كما ابتنى أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى المستوفى^(٨)، ت ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م، المساجد لأصحاب مذهب أبى حنيفة^(٩).

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) الوبرى: بفتح الواو والباء الموحدة وآخرها راء، نسبة إلى الوبر والصوف. السمعانى: الأنساب، مج ٥، ص ٤٧٦، القرشى الحنفى، الجواهر المضية، ج ٤، ص ٣٣٩.

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج ٢، ص ١٨٥.

(٦) إسماعيل باشا البغدادي: (إسماعيل بن محمد أمين بن ميرسليم البابانى أصلا والبغدادي مولدا ومسكنا)، إيضاح المكنون، عنى بتصحىحه محمد شرف الدين بالنفايا، ورفعت بيلكة الكليسى، مجلدان، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. بيروت - لبنان، جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، مج ٢، ص ٥٣.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٦، ص ٣٠٤، ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٢، ج ٣، ص ٣٧٤.

(٨) لمزيد من التفاصيل عن وظيفة المستوفى راجع: نفس الفصل، حاشية " ١٤ " ص ٥٤.

(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦٦.

وفى عصر تكش بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين (٥٨٩-٥٩٦هـ/ ١١٩٣-١١٩٩م)، ابنتى وزيره نظام الملك سعد الدين بن مسعود بن على^(١) ت ٤٩٦هـ/ ١١٩٩م، مسجدا عظيمًا بخوارزم، لأصحاب المذهب الشافعى^(٢)، وكان نظام الملك مسعود بن على، أحد المتعصبين للشافعية^(٣).

وكما اهتم السلاطين والوزراء والحكام ببناء المساجد، عنى العلماء أيضا ببناء المساجد، كمراكز علمية للعلوم المختلفة، ومعاهد يجتمع فيها الناس والطلاب لتلقى العلم، ومن علماء خوارزم الذين كان لهم اسهامات فى بناء المساجد، العالم، الفقيه شهاب الدين الخيوقى، الذى بنى مسجدا لأصحاب المذهب الشافعى^(٤)، حيث كان فقيها مفتيا فى مذهب الشافعى رضى الله عنه^(٥)، متعصبا لأصحابه، وكان العلماء والقضاة يحضرون درسة جنبا إلى جنب مع طلبة العلم^(٦).

هذه الكثرة من المساجد تدلنا على أن التعليم فى كل الفروع والمذاهب، كانت تدرس فى هذا الإقليم، مما كان له أكبر الأثر فى تطور الحياة الفكرية، وظهور نخبة من علماء التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو والأدب والشعر والنثر، ظهر نتائجهم العلمى فى العصرين السلجوقى والخوارزمى^(٧).

كما كان لهذه المساجد أثرها على الحياة الدينية فى أهل إقليم خوارزم وعلمائه، ويشير ياقوت فى هذا الحموى إلى هذه الناحية الدينية بقوله^(٨): "وكان المؤذن يقوم فى سحرة من الليل يقارب نصفه، فلا يزال يزعم إلى الفجر قامت".

ويصور ابن بطوطة هذه الناحية بقوله^(٩): ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها بغيرهم، وهى أن المؤذنين بمساجده يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٩.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٢٩٦.

(٤) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١١٠.

(٥) النسوى: نفسه، ص ١٠٩.

(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩.

(٧) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشري، ص ١٨.

(٨) معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٤.

(٩) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى، المعروف بابن بطوطة، الملقب شمس الدين، (٧٠٤ - ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر - بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٣٥٩ -

بحضور الصلاة، فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضر الجماعة، وفي كل مسجد درة معلقة برسم ذلك، ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح المسجد، أو تطعم للفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة مستمرة على قديم الزمن .

وفي وصف المقدسى لعلماء إقليم خوارزم وأهله يقول^(١): "أهل فهم وعلم وفقه وأدب وكل إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمي تقدم زوجا" . ويقول ياقوت الحموي^(٢): وما أظن أنه كان في الدنيا لإقليم خوارزم نظير في ملازمة أسباب الشرائع والدين .

وبذلك كان المسجد المعلم الرئيسى لأهل خوارزم، مما أدى إلى ظهور علماء أجلاء، أثروا الحياة الفكرية بكم هائل، ضخ من التنتاج العلمى والأدبى .

ج - المدارس:

كان الناس يتلقون العلم في المسجد والبيت والسفر وغيره من، تلك المعاهد، ولم يطلع القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى، حتى انتشرت المدارس الأهلية في عواصم الأقاليم الشرقية^(٣)، ومنها إقليم خوارزم .

وكانت هذه المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة^(٤)، وذلك أن المسجد لم يكن يحسن تخصيصه للتدريس بما يتبعه من مناظرة، وجدل وقد يخرج بأصحابه أحيانا عن الأدب الذى يجب مراعاته للمسجد^(٥)، على أن المسجد كان المكان المفضل للتدريس حتى بعد إنشاء المدارس^(٦) .

وفي العصر السلجوقى، اهتم السلاطين والوزراء بإنشاء المدارس، خاصة الوزير "نظام الملك الطوسى" (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م)^(٧)، الذى بنى المدارس

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧ .

(٢) معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٥٥ .

(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٦٤ .

(٤) أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص ١٢١ .

(٥) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع (عصر النهضة في الإسلام)، تحقيق د/ محمد عبد الهادى أوريدة، أعد فهرسه رفعت البدرأوى، مجلدان، ط٤، مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، مج ١، ص ٣٣٦ .

(٦) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٦٨ .

(٧) الذهبى: دول الإسلام، ج ١، ص ٤١٧ .

النظامية^(١)، هذه المدارس التي أنشأها وبثها في أمهات المدن وحملت اسمه، وكلما وجد في بلد أو إقليم من تميز وتبحر في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب^(٢)، ولما كان نظام الملك شافعي المذهب^(٣)، فقد سلم منابر التدريس في المدارس النظامية إلى علماء الشافعية^(٤)، ولم يكن الإقبال على تلك المدارس قاصرا على الطب بل امتد إلى العلماء^(٥). ولم يكن يسمح لأحد من طلبة المدارس النظامية بالانتظام بها ما لم يكن له نصيب وافر من مختلف العلوم والفنون^(٦)، فقد كان التدريس بها يشمل مختلف العلوم النقلية، كالقرآن، والتفسير والحديث والفقه وأصوله على المذهب الشافعي، كذلك علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة^(٧) وغيرهما، كما عنت المدارس النظامية بالعلوم العقلية، كالرياضيات والطب والصيدلة^(٨).

هذه المدارس النظامية، أصبحت نموذجاً يقتدي به مؤسسوا المعاهد العلمية، ومن تلك المدارس التي اتخذت من النظامية حافزا لها وشيدت على غرارها^(٩) "المدرسة النظامية" بخوارزم التي أسسها الوزير نظام الملك مسعود بن علي ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م، وزير تكش خوارزمشاه ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م، وكان نظام الملك مسعود بن علي أحد المتعصبين للشافعية^(١٠)، كما كان متعصبا لبناء المدارس النظامية الشافعية، وقتل سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م، وحزن عليها السلطان تكش، واستوزر ولده وهو صبي^(١١)، ولقب الوزير نظام الملك صدر الدين علي بن سعد الدين مسعود، واقتدى بصفات والده الحميدة، ولم يقصر في رعاية أهل العلم والفضيلة^(١٢).

(١) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، Bernard : The Arabs in history , P . 149

(٢) البنداري: آل سلجوق، ص ٥٩، نظام الملك: سفر نامه، المقدمة، ص ٥ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧، ج ٢، ص ١٥١ .

(٤) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٥٤ .

(٥) عبد المجيد أبو الفتوح بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، ط ٢، دار الوفاء، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، ص ١٨٦ .

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٣ .

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ١٠ أجزاء، طبعة دار صار - بيروت، ج ٩، ص ٦٦، مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ٢٧٦ .

(٨) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص ٥٦٨ .

(٩) محبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠ .

(١٠) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص ٢٩٦، ٢٩٧، محبوبة: نظام الملك ص ٤٠٣ .

(١١) السبكي: نفسه، ج ٧، ص ٢٩٧ .

(١٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣١٠ .

كان سلاطين وحكام خوارزم (خوارزمشاه) متعصبين للمذهب الحنفى، وبناء المدارس لأصحاب مذهب أبى حنيفة، على غرار المدارس النظامية، التى بنيت لأصحاب المذهب الشافعى .

ولذلك ابتنى السلطان تكش خوارزمشاه (٥٨٩ - ٥٩٦ هـ / ١١٩٣ - ١١٩٩ م) مدرسة عظيمة فى خوارزم، لأصحاب مذهب أبى حنيفة، وكان يعرف الفقه وأصوله على هذا المذهب، وعندما توفى دفن بتربة بناها فى هذه المدرسة^(١).

من العلماء الذين قاموا بالتدريس فى مدارس ومساجد خوارزم، الشيخ الإمام أبو محمد ظهير الدين الحنفى، ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م، وكان يدرس العلم، لأصحاب مذهب أبى حنيفة، كما كان يقوم بالتدريس لأصحاب الشافعى^(٢)، العالم والمفسر والأديب، فخر الدين الرازى، ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، وألف كتابا "حقائق الأنوار فى حقائق الأسرار"^(٣)، للسلطان تكش خوارزمشاه^(٤).

وكان فخر الدين الرازى، مقربا من السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠ م)^(٥) وبنى له السلطان مدرسة بخوارزم، وكان يدرس الفقه والأدب والشعر، ويحضر درسه الأفاضل، والعلماء والأدباء^(٦).

وعلى الرغم من اهتمام السلاطين والحكام والوزراء ببناء المدارس، فقد أولى العلماء أيضا اهتمامهم بإنشاء المدارس لنشر مذاهبهم وعلمهم، فأنشأ هؤلاء العلماء، مدارس يدرس فيها العلم لخدمة مذاهبهم، فظهرت المدارس الشافعية، وكذا الحنفية .

وأول من ابتنى من العلماء مدرسة للشافعية، القاضى محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الشافعى^(٧)، ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، وكان يدرس فيها الحديث والفقه^(٨) والشعر وغيره، وروى عنه أهل خوارزم^(٩).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٩ .

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٢٢١ .

(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج ١٨، قسم ١، ص ٢٣٢ .

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ٦٣٣ .

(٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣٨ .

(٦) الذهبى: تاريخ الإسلام، مج ١٨، قسم ١، ص ٢٣٨ .

(٧) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٣٠ .

(٨) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ص ١٧٥ .

(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤١٢ .

ولقد انتشر المذهب الشافعي في إقليم خوارزم، خاصة مدينة خيوق، مما أدى إلى إنشاء المدارس للشافعية، كما أبتنى العالم الفقيه شهاب الدين الخيوقى ت ١٢٢٠م، مدرسة للشافعية، وكان يقوم بالتدريس في خمس مدارس للشافعية بخوارزم عامة، وكان لا يبطل الدرس^(١).

كانت هذه المدارس الشافعية (النظامية)، معاهد للبحث العلمى والنظري ومركزا لتبوعات الباحثين في مختلف الثقافات الوافدة والأصلية وظهرت ثمارها في المؤلفات العلمية والدواوين الشعرية باللغتين الفارسية والعربية^(٢).

وكما كان هناك مدارس للشافعية، كان هناك مدارس للحنفية، تدرس العلم والأدب على المذهب الحنفى، وأول من أدخل مذهب المعتزلة، لأصحاب أبى حنيفة فى خوارزم، محمود بن جرير الضبى، ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م، وأقام فى إقليم خوارزم، ينشر هذا المذهب فى مدارسه، فاجتمع عليه الخلق، وتذهبوا بمذهبه، ومنهم أبو القاسم الزمخشري ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م^(٣)، وقد كون الزمخشري مدرسة علمية ينشر فيها علمه، ويث تعليمه ومذهبه^(٤)، وتتلמד له جماعة من الأصحاب والتلاميذ فى كل علم من العلوم التى كان ينشرها فى مدرسته. ومن أشهر تلاميذه فى علم العربية والأعراب والحديث، النحوى محمد بن أبى القاسم بن بايجوك الخوارزمى، ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وجلس بعده مكانه فى مدرسته^(٥).

ومن كان لهم الفتوى والتدريس على المذهب الحنفى، فى مدارس خوارزم، عبد الخالق بن عبد الحميد بن عبد الله الخوارزمى، وكان يدرس الفقه واللغة، والشعر، والأدب، وعلم الكلام، وكان أستاذا فى الفنون الأدبية^(٦)، ومن أشهر تلاميذه، على بن عراق الصنارى، ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م^(٧).

وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه المدارس دورها كمعهد من معاهد العلم فى إقليم خوارزم، هذا المعهد الذى ساهم فى انتشار سوق العلم فى خوارزم، فأقبل عليه طلاب

(١) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٠٩ .

(٢) مجبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠ .

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج ٥، ص ٤٨٧ .

(٤) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشري، ص ٤٦ .

(٥) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة، ج ١، ص ٢١٥ .

(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج ٢، ص ٣٧٠ .

(٧) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج ٤، ص ١٨٥ .

العلم من كل صوب، وظلت المدارس تقوم بدورها العلمى فى العصرين السلجوقى والخورزمى، وتخرج منها أشهر الأئمة والعلماء والأدباء والشعراء، فكان لكل مدرس تلميذ، يصبح أستاذا، وهكذا .

د - دور الكتب (المكتبات):

اتخذت المساجد مستودعات الكتب، فكانت خزائنها غنية بالكتب لا سيما الكتب الدينية التى كان الناس يهبونها لها أو يقفونها على القراءة^(١)، وفى القرن الخامس الهجرى، قامت فى الدول الإسلامية معاهد علمية واضحة المعالم، هى المدارس، ساهمت على الدوام مع المساجد فى تطوير ثقافة الشعوب^(٢).

وانتشرت خزائن الكتب العامة فى المعاهد العلمية (المدارس - المساجد) وانتشر إلى جانبها خزائن الكتب الخاصة بالخلفاء العباسيين فى قصورهم^(٣)، مثل خزانة كتب نفسية، للخليفة القائم بأمر الله العباسى (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م)^(٤) ومكتبة الوزير عميد الملك الكندرى، ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م^(٥)، ومن هذه المكتبات أيضا مكتبة الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥ م)^(٦).

ففى عصر السلاجقة زاد الاهتمام بالحركة العلمية بشكل عام، وبدور الكتب بشكل خاص، فقد حظيت باهتمام المسؤولين عن الإدارة فى الدولة السلجوقية حتى شاعت وانتشرت دور الكتب وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو مستشفى أو غير ذلك من معاهد العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها^(٧).

فقد اهتم "نظام الملك" بالمدارس النظامية، ووقف عليها الوقف، ثم أنشأ بكل مدرسة دار كتب^(٨)، وكان يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختياره، ويجب أن يكون عالما عارفا سنى المذهب شافعى أصلا وفروعا، له معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط كتب الكثير من الكتب الأدبية^(٩)، وكان الخط النسخ من أشهر

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٤ : ١٩٥ .

(٢) يوسف العش: دور الكتب العلمية فى العراق والمشرق، ص ٤٦٢ .

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ٢٦٢ .

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج ٨، ص ٤٠٦ : ٤٠٧ .

(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٤٦٢ .

(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٢ .

(٧) مريزن عسىرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ١٩٢ .

(٨) البندارى: تاريخ آل سلجوق، ص ٥٩ .

(٩) محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، ص ١٥٣ .

الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب العلمية والدينية والتاريخية والأدبية^(١)، وكان نظام الملك يغدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، كما كان يشتري الكتب بأوفر الأثمان^(٢)، وكانت دور الكتب مزودة بالأقلام والحبر والورق، ليتمكن الكتاب من نسخ ما يريدون من الكتب التي تشمل الأدب وسائر العلوم^(٣).

ومن المكتبات العامة مكتبة خوارزم التي كانت أشهر المكتبات في العصر السلجوقي، ثم أصبحت أشهر مكتبة في بلاد فارس، عصر الدولة الخوارزمية^(٤).

ومن المكتبات الخاصة التي أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وقد كانت كبيرة جدا ومنتشرة، حيث كان من الصعب أن تجد كاتباً أو عالماً أو أديباً دون أن يكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته وإطلاعه^(٥)، مثل مكتبة أبو عمرو النسوي الشافعي ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، بمدرسته في خوارزم، وأوقف عليها مؤلفاته، في التفسير والحديث والفقهاء^(٦).

ومن أشهر دور الكتب في العصرين السلجوقي والخوارزمي، دار الكتب التي بناها شهاب الدين الخيوقى ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م، في جامع الشافعية بخوارزم^(٧)، ويصف النسوي^(٨) دار الكتب التي بناها شهاب الدين فيقول "دار كتب لم ير قبلها ولا بعدها مثلها".

هكذا قامت دور الكتب (المكتبات) بدورها كمعهد من معاهد العلم في إقليم خوارزم، وساعدت على تطور الحياة الفكرية فيه.

هـ - دور العلماء (بيوت العلماء):

لقد قامت دور العلماء بدور كبير في نشر العلم، وتوسيع النشاط الفكرى في إقليم

(١) الدمشقى: مصطفى السباعى الدمشقى، اليقين فى معرفة أنواع الخطوط وذكر بعض الخطاطين من الترك والفرس والعرب، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٨٥ ميكرو فيلم ٨٤٣١، ورقة ٥.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤، ترجمة ٣١٩، ٣٨٣.

(٣) يوسف العش: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص ١٧٤.

(٤) الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ص ٣٠٨.

(٥) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٥٩.

(٦) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٧) النسوي: سيرة جلال الدين مكجرتى، ص ١١٠.

(٨) النسوي: نفسه، ص ١١٠.

خوارزم، والعلماء هما يتمثلون بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١).

وعلى هذه الآية الكريمة، اضطلع علماء المسلمين بمهمة التعليم الجليلة على مر العصور، فكان من جملة الآداب التي يحرص عليها العلماء ما ذكره الغزالي (٢) "اعلم أن الانسان في علمه أربعة أحوال، حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغنى عن السؤال، وحال إستبصار وهو التفكير في المحصل والتمتع به، وحال تبصر وهو أشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات" (٣).

ومن ذلك يتضح أنه على العالم المعلم إفادة المتعلم بالعلوم بخوارزم، ونزولهم دور العلماء وإقامتهم فيها مما كان له أثر كبير في عملية التعليم. ومن هذه الدور، دار البلالي، بكسر الباء الموحدة واللام ألف المخففة وفي آخرها اللام المكسورة بياء، نسبة إلى بلال مؤذن رسول الله ﷺ (٤)، يقول السمعاني المتوفى ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م (٥) "كنت بخوارزم ونزلت دار أبي يعقوب بن صالح البلالي وكان كريما وسخيا ذا مروءة مائلا إلى الخير، أقمت في داره أربعة عشر يوما، وسمع مني الحديث وسمع ولده أبو مسعود أحمد بن يوسف البلالي".

ومما يدل على أن بيوت العلماء والتعلم بها كان لها أكبر الأثر في تطور النشاط العلمي والفكري في خوارزم هو أن هذا البيت أخرج لنا العلامة القاضي أبو صالح بن يوسف بن صالح البلالي، قاضي خوارزم، الذي تفقه على أبيه في داره، وعلى القاضي محمد بن الحسين الأرسابندي (٦)، وولى القضاء بخوارزم، وكان من رجال الدنيا جلادة وشهامة، وكانت ولادته في حدود سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (٧).

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٩ .

(٢) أحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦٩ .

(٣) ولقد حدد الغزالي وظائف المعلم وأدلة في ثمان وظائف لمزيد من التفاصيل راجع الغزالي: أحياء علوم الدين، ج ١، ص ٦٩ - ٧٢ .

(٤) القرشي الحنفى: الجواهر المضيئة ج ٤، باب الكنى، ص ١٥٨ .

(٥) السمعاني: الأنساب، مج ١، ص ٣٣٦ .

(٦) هو محمد بن الحسين بن محمد الأرسابندي، أبو بكر، القاضي، المروزي، المعروف بفخر القضاء وكان إماما فاضلا، مناظرا انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وحدث . القرشي الحنفى، الجواهر

المضيئة، ج ٣، ص ١٤٥، ١٤٦ .

(٧) السمعاني: الأنساب، ج ١، ص ٤٤٥، ٣٣٦ .

كما كان نزول العلماء إلى خوارزم وإقامة بيوت لهم يتم بها المناقشات والمجادلات والمناظرات أثره في عملية العلم والفكر، فكثر بيوت العلماء في خوارزم، ومن هذه البيوت، بيت الشهرستاني^(١) المتكلم الفيلسوف صاحب التصانيف، حيث نزل خوارزم وأخذ بها دارا وسكنها مده، وكانت داره للمجادلات والمناظرات، وكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة، وكانت بينه وبين أبي محمد محمود بن عباس بن أرسلان ت ٥٦٨هـ / ١١٧٢م، وهو من بيت علم أيضا - محاورات، ومفاوضات، وحضر له عدة مجالس من وعظه^(٢) حتى خرج من خوارزم سنة ٥١٠هـ / ١١١٦م^(٣).

أما محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان المولود بخوارزم سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م فهو من بيت علم وصلاح أيضا، حيث سمع من أبيه وجده بخوارزم^(٤).

ومن البيوت التي زارها ياقوت، منزل القاسم بن الحسين بن محمد، أبو محمد الخوارزمي، صدر الأفاضل ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م^(٥)، ويقول ياقوت^(٦): حضرت بمنزلة بخورزم فرأيت منه صدرا يملأ الصدور، ذا بهجة سنية وأخلاق هنية، وبشر طلق ولسان دلق، فملأ قلبي وصدري وأعجز وصفه نظمي ونثري، واستشدته من قبله فأنشدني لنفسه بمنزله في خوارزم، في ذي القعدة سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م.

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح
لا تأملوا عند الكرام سماحا
إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا
باب السماح وضيعوا المفتاحا^(٧)

ويقول ياقوت^(٨): قلت له: ما مذهبك؟ فقال حنفي ولكن لست خوارزميا لست

(١) الشهرستاني: بفتح الشين والراء، بينهما هاء، ثم السين المهملة الساكنة، والتاء مفتوحة ثالث الحروف، بعدها الألف وفي آخرها النون، هذه النسبة على شهر ستانه " وهي بلدة من الثغور " مما يلي خوارزم ناحية خراسان، ويقال لها رباط شهر ستانه، بناها أمير خراسان عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون، السمعاني: الأنساب، مج ٣، ص ٤٩٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ١٦٦.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦، ص ١٢٨: ١٣٠.

(٤) السبكي: نفسه، ج ٧، ص ١٢٨: ١٣٠.

(٥) القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي النحوي: ولده ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م. القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٧٠٣.

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج ٤، ص ٥٨٢.

(٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٥٨٢.

(٨) معجم الأدباء: مج ٤، ص ٥٨٣.

خوارزميا يكررها، إنما إشتغللت ببخارى فأرى رأى أهلها. نفى عن نفسه أن يكون معتزليا .

هذه هى بيوت بعض العلماء التى لعبت دورا كبيرا فى نشر العلم، وتوسيع التعليم^(١)، وحرية الفكر، مما كان له الأثر فى تطور الحياة العلمية والفكرية فى هذا الإقليم الخصب الملى بالعلم والعلماء والأدباء .

و - حوانيت العلماء (دكاكين العلماء)؛

كان بعض العلماء يعملون فى الأسواق لكسب معاشهم وكانوا يستقبلون طلابهم فى حوانيتهم التى كانت هى أيضا ملتقى العلماء، حيث كانوا يتباحثون فى مختلف المواضيع المتعلقة بالحديث النبوى والرواية والشعر^(٢)، وما إلى ذلك من فقه وكلام وغيره .

ومن هؤلاء العلماء المطرزى^(٣): ناصر بن عبد السيد بن على^(٤) أبو الفتوح الخوارزمى الحنفى المطرزى، الأديب ولد بخوارزم سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، وكان حنفى المذهب، من رؤس المعتزلة، وله معرفة تامة بالعربية واللغة والشعر، وله تصانيف فى الأدب، وشعر كثير^(٥) .

ومن تلاميذه القاسم بن الحسين الخوارزمى النحوى، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٥ م أخذ من أستاذه العربية، وتفقه فى عليه^(٦) .

ومن قرأ عليه بخوارزم أيضا محمد بن عبد الستار الكردرى البراتقنى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م^(٧) .

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٥٨٢ .

(٢) منير أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٧٢، محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصفهان، ص ١٣ .

(٣) المطرزى: بضم الميم وفتح الهاء المهملة وتشديد الراء وكسرهما وبعدها زاي، هذه النسبة إلى من يطرز الثياب ويرقمها . ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ٣٧١، ويقول ابن خلكان: لا أعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه، أم كان فى آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم، ابن خلكان: نفسه، ص ٣٧١ .

(٤) عبد السيد بن على المطرزى: كان فقيها وتفقه عليه ابنه ناصر، القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٤٢٥ .

(٥) الذهبى: تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام، مج ١٨، القسم الأول، وفيات ٦٠١ - ٦١٠، ص ٤١٤ .

(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج ٢، ص ٧٠٣ .

(٧) القرشى الحنفى: نفسه، ج ٣، ص ٢٢٨ : ٢٢٩ .

ومن العلماء أصحاب الحرف أيضا: السكاكي (٤٥٥ - ٦٢٦ هـ / ١١٤٩ - ١١٢٨ م)^(١): يوسف بن أبي بكر بن محمد، أبو يعقوب السكاكي^(٢)، من أهل خوارزم، علامة إمام في العربية، والمعاني والبيان والأدب والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان^(٣).

ومن تلاميذه: مختار بن محمود بن محمد الزاهدي ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م، قرأ علم الكلام على أستاذه السكاكي^(٤).

وخلاصة القول أن حوانيت العلماء لم تكن فقط للبيع والشراء بل أنها كانت بمثابة معهد علمي يلتقى فيه أهل العلوم والآداب فيتبادلون علومهم وينشرون علمهم ويتناقشون في شتى فروع العلم.

ز - حوانيت الوراقين (دكاكين الوراقين):

لما اتسعت الدولة الإسلامية، وكثرت التواليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين^(٥)، وكانت حوانيت الوراقين عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد، ويجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأديين^(٦). وكان الخط النسخ من أشهر الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب العلمية والدينية والتاريخية والأدبية^(٧)، هذه الدكاكين انتشرت سريعا وغدت مسرحا للثقافة والحوار العلمي في العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها^(٨). ومنها مدينة الجرجانية عاصمة إقليم خوارزم، وأصبحت الوراقة صورة من النشاط الفكري والعلمي في الحضارة الإسلامية في إقليم خوارزم، حيث كان للوراقين الأثر الفعال في تنشيط الحركة العلمية وتيسرها، وتطوير

(١) السكاكي: هذه النسبة إلى الحدادين الذين يعملون الآلات من العاج والأبنوس. القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٠.

(٢) السكاكي: كان في أول أمره صانع معادن وقد مهر في حفر السكة ومن ثم لقب بالسكاكي، وكان يصنع أيضا الأقفال الدقيقة: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد ١٢، ص ١٢.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مج ٥، ص ٦٤٧.

(٤) القرشي الحنفي: الجواهر المضيئة، ج ٣، ص ٦٢٣.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، مج ٢، ص ٣٤٩.

(٦) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٥.

(٧) الدمشقي: اليقين في معرفة أنواع الخطوط، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورق ٥.

(٨) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٤٨.

الكتاب والافتنان في إخراجه وتجليده وتذهيبه^(١)، وكان للفرس والترك على السواء عناية خاصة بالتذهيب بالنقوش الثمينة في الخط قديما وحديثا^(٢).

ونظرا لأن سكان خوارزم كما ذكرنا من الفرس والترك، فقد ازدهرت حوانيت الوراقين في هذا الإقليم، خاصة في العصرين السلجوقي والخوارزمي. ونشطت تجارة الوراقين وذلك بإنشاء دكاكين (حوانيت) للتجارة^(٣) فانتشرت المصانع في كثير من أنحاء البلاد الإسلامية، حيث أصبح الورق من المواد الشائعة في الكتابة والتدوين في المدن الإسلامية^(٤)، ومنها مدن وقرى خوارزم.

وقد كثرت مجالس الإملاء وانتشرت في المدن الإسلامية، وكان كثير من مؤلفات المسلمين قد ألفت عن طريق الإملاء، ولهذا فقد ظهرت كتب كثيرة مقرونة باسم الأملی، منها "الأملی فی النحو"^(٥) للزمخشري ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م^(٦).

ومن الكتاب الخوارزميين البارعين في الكتابة والنسخ منهم أحمد بن إبراهيم الأديبي، كما كان كاتباً بارعاً... وافر الخط من حسن الكتابة، وكان خطة في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة^(٧).

ولم يقتصر دور الوراق على عملية النسخ والكتابة والتبويض، بل أن دوره تعدى إلى عملية أخرى، ألا وهي تجارة الكتب والمؤلفات^(٨)، ومن التجار بائعي الكتب الذين زاروا خوارزم، ياقوت الحموي^(٩)، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م، والذي استغل أثناء زيارته هذه بالنسخ بالأجرة، وبيع الكتب كما استفاد بالمطالعة على المؤلفات الضخمة لعلماء خوارزم^(١٠).

(١) الجبوري: الكتاب في الحضارة الإسلامية. ص ١٢٤.

(٢) الدمشقي: اليقين في معرفة أنواع الخطوط، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٨.

(٣) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص ١٢٣.

(٤) محمد طه الحاجري: مجلة المجمع العراقي، الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية، مج ١٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م، ص ١٣٧: ١٣٨.

(٥) الجبوري: المصدر السابق، ص ٨٠.

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأديباء، مج ٥، ص ٤٩٤.

(٧) ياقوت الحموي: نفسه، مج ٢، ص ٢٤٨.

(٨) هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون في العصر العباسي، (١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ - ١٢٥٨ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ١٢٤.

(٩) معجم البلدان، مج ٢، مج ٣، ص ٢٥٥.

(١٠) ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٣، مج ٥، ص ١٢١.

وبذلك كانت حوانيت الوراقين، معاهد علمية يلتقى فيها أهل العلم، للقراءة، والإطلاع، وللمناقشة والمناظرة فى مختلف أنواع العلوم والفنون، مما كان له أبلغ الأثر فى ازدهار الحركة الفكرية التى شهدها العصرين السلجوقى والخورزمى.

ح - قصور السلاطين ومجالس الوزراء:

لقد حفلت قصور السلاطين والوزراء والأمراء بمجالس العلم، فكانت مجالسهم مجمعا يفد إليه العديد من العلماء والأدباء لعرض إنتاجهم، أو للمناقشة والمناظرة مما أدى إلى إثراء الحياة الفكرية فى خوارزم بصفة عامة، والجرجانية خاصة بصفتها عاصمة خوارزم فى العصر السلجوقى، وعاصمة الدولة الخوارزمية .

وكان أول ملوك السلاجقة طغرل بك ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م^(١)، واستوز السلطان طغرل بك، أبو نصر محمد بن منصور بن محمد، الملقب عميد الملك الكندرى^(٢)، كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة^(٣) .

ويقول الباخزرى^(٤): جمعنى وإياه مجلس سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م فعاشرت فيه شابا، مهر حدائته قروح، فرأيت هنالك جسما كله روح، وأنتضاه طغرل بك لولاية إقليم خوارزم وفوضه إلى أغراضه .

ولقد عده النظامى العروضى^(٥): من جملة الكتاب الذين لابد للكاتب الإطلاع على كتبه، وعلى الكاتب أن يطلع على هذه الكتب ويديم مطالعتها، حتى يصقل ذهنه، وينير طريقه، ويستحق اسم كاتب .

ولقد طلب منه طغرل بك أن يخطب ابنة خوارزمشاه، فخطبها لنفسه، فخاف تغير قلب مخدومة عليه، فعهد إلى لحيته، وإلى مذاكيره فجبهها^(٦) .

(١) ابن العماد الحنبلى: نفسه، مج ٢، ص ٣٩٥ .

(٢) الكندرى: بضم الكاف وسكون النون وضم الدال وكسر الراء المهملتين . هذه النسبة إلى بيع الكندر وهو العلك، وتنسب إلى قريتين . السمعانى: الأنساب، مج ٤، ص ٦٥٣، أما القرية التى ينسب إليها المذكور: هى قرية من قرى طريث، وهى من نواحى نيسابور خرج منها جماعة من العلماء . ابن خلكان: مج ٥، ص ١٤٢: ١٤٣ .

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ١٣٨ .

(٤) الباخزرى: دمية القصر وعصرة أهل المعصر، ج ٢، ص ١٣٨: ١٣٩ .

(٥) النظامى العروضى جهار مقالة، المقالة الأولى، ص ٢٣ .

(٦) الباخزرى: دمية القصر، ص ١٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ١٤١، ١٤٢ .

وكان الكندري شديد التعصب على الشافعية كثير الواقعية فى الشافعى، رضى الله عنه^(١)، ولما انتقلت السلطنة إلى السلطان ألب أرسلان ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م عاقب ذلك الوزير وسجنه حتى قتل^(٢).

على أن أعظم وزراء السلاجقة الذين اعتنوا بالعلم والعلماء هو الوزير نظام الملك الطوسى، الذى أعتنى كما قلنا ببناء المساجد والمدارس ودور الكتب، وإلى جانب ذلك، كانت مجالسة مليئة بالعلماء، حيث جعل فى داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون قيد فى سن، أو شرط فى مذهب فهذا الحنبلى والملكى إلى جانب الحنفى والشافعى^(٣). فهذا أبو مضر الضبى، ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م، نزيل خوارزم وأستاذ الزمخشري المعتزلى أتصل بالوزير نظام الملك الشافعى، وكان مقربا منه^(٤)، وليس أدل على هذه الصلة من مدح الزمخشري ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م، تلميذ أبو مضر - للوزير نظام الملك^(٥)، حيث يمدحه مقرا بعون أستاذه.

إليك نظام الملك شكواى فاستمع إلى بث مجذوذ العايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنويه ببائقة تنحى عليه ببركها
ولو لم يل الضبى عنى عراكها لغالت يد البلوى أديمى بعركها^(٦)

وكان بلاط أمراء خوارزم ووزرائهم مليئا بالعلماء، حيث كان الأمراء يقربونهم، فهذا محمد بن أنوشتيكن (٤٩٠ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٦ - ١١٢٧ م)، كان دين فاضل، خير تقى، سخرى كثير التلاوة والغزو، عارفا بالتفسير وكان من أعدل الملوك^(٧). ومن العلماء المقربين له الطبيب الشريف شرف الدين إسماعيل ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م، وكان له مقرر على السلطان فى كل شهر ألف دينار.

وكان قصر العامرية^(٨)، قصر آتسز خوارز مشاه (٥٢١ - ٥٥١ هـ / ١١٢٧ -

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٣٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٢، ص ٣، ص ٣٩٥.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢١٤.

(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.

(٤) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشري، ص ٣١.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.

(٦) الذهبى: التهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ٤٨.

(٨) الأصفهاني: جريدة القصر وجريدة العصر، ج ٢، حاشية ١، ص ٢٠١.

١١٥٦م)، مليئاً بالعلماء والأدباء، وكان الرشيد الوطواط، الأديب والكاتب والشاعر، ت ٥٧٣ هـ / ١١١٧ م، الخاص لآتسز خوارز مشاه، وألف له "حداثق السحر فى دقايق الشعر باللغة الفارسية^(١)" ومن أشهر المفسرين والمحدثين والفقهاء، الذين كانوا فى مجالس القصر، الزمخشري ٥٣٨هـ / ١١٤٣م، وألف له كتاب "مقدمة الأدب"^(٢) ومن أطباء القصر، الطبيب الشريف الدين إسماعيل، ٥٣١هـ / ١١٢٦م، وألف له كتاب "يادكار" فى الطب بالفارسي، مجلد واحد^(٣).

ولقد مدح الرشيد الوطواط قصر العامرية فى قصيدة مطلعها:

العامرية مالها أمثال بالعامرية تضرب الأمثال^(٤)

وكان السلطان آتسز يحب مجالسة الرشيد الوطواط، فأمر أن يبنى له قصر، بجوار قصر العامرية^(٥).

ولقد ظلت قصور سلاطين خوارزم، كمعاهد للتعليم، فكانت قصورهم، مجالس للعلم والأدب والشعر مما أدى على إثراء الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، كما كان الحال فى مجالس الوزراء.

ومن أشهر وزراء الدولة الخوارزمية، الوزير نظام الملك سعد الدين مسعود بن على، ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م، الذى وزر للسلطان تكش بن إيل أرسلان (٥٨٩ - ٥٩٦هـ / ١١٩٣ - ١١٩٩م) وكان من فقهاء العصر، وعمل على تقوية أحكام الشريعة النبوية^(٦)، وولده الذى وزر للسلطان تكش، بعد مقتل أبيه، الذى اشتهر بحبه للعلم والعلماء^(٧).

أما الوزير، علاء الدين العلوى، وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠م)، فقد كان عالماً وأديباً، كما كان يشعر بالعربية^(٨)

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ٤٣٠، الهامة مفتاح: "جغرافياى تاريخى بلخ وجيخون" ومضافات بلخ، طهران، ١٣٧٦ هـ، ص ٢٣٣.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٥، ص ١٦٩.

(٣) ابن ابى أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ٤٨، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٤، ص ٢٠٤٠.

(٤) الأصفهاني: جريدة القصر، ج ٢، ص ٢٠١.

(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٣٤.

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩.

(٧) خواندمير: نفسه، ص ٣١٠.

(٨) ابن ابى أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٣٩.

والفارسية . وكان مجلسه يضم المفسر والفقيه والأديب والمتكلم فخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م^(١)، وغيرهم من رجال العلم .

هكذا كانت، قصور السلاطين ومجالس الوزراء، معاهد علمية هامة في تلك الفترة في إقليم خوارزم، حيث ساعدت على نشر العلم والفكر بكافة ألوانه، ساعد على ذلك اهتمام السلاطين والوزراء، وحرصهم على أن تكون قصورهم ومجالسهم منارة للإشعاع الفكري والعلمي .

ط - البيمارستانات (المستشفيات)؛

وتختصر في كثير من الأحوال فيقال "مارستان" وهي مأخوذة من الكلمة الفارسية "بیمار" بمعنى مريض و"استان" بمعنى مكان، وتد على المستشفى، والبيمارستان في الاصطلاح الحديث يطلق بخاصة على مكان يأوى المجانين^(٢) .

وكانت البيمارستانات دورا لعلاج المرضى^(٣)، كما شملت تدريس صناعة الطب، حيث إنه لا بد لمن يتعلم الطب ويدرسه ويمارسه كمهنة أن يعمل في المستشفيات حتى يتدرب ويتمرس مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التي يقابلها تحت إشراف أساتذة علماء^(٤) . كما ان بعض من مشايخ الطب كان يجعل له مجلسا خاصا لتدريس الطب في منزله أو في مدارس خاصة بذلك^(٥) .

ولقد انتشرت البيمارستانات المتنقلة في العصر السلجوقي كان يستصحب في معسكره بيمارستانا محملا على أربعين جملا^(٦) . وفي العصر الخوارزمي أيضا، عندما حضر السلطان محمد خوارزمشاه ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، إلى بغداد، فمرض وهو بمعسكر ظاهر البلد، ومرض الخليفة ببغداد، فكان الطبيب يداوى السلطان بظاهر بغداد، ويداوى الخليفة ببغداد^(٧) .

(١) ابن أبي أصيبعة: نفسه، ص ٣٩ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، ج ٧، ص ٢٠٦٤، مادة بيمارستان .

(٣) توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١١٤ .

(٤) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ٥٠١ .

(٥) محمد كامل حسين وآخرون: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، جزءان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، بدون، ص ٢٣٠ .

(٦) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٢٠٢ .

(٧) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٢، ص ٢٦٧ .
١٢٤

ولا توجد أى إشارة فى المصادر التاريخية والجغرافية عن وجود أسم بيمارستان فى خوارزم، على أن وجود الأطباء ومعالجتهم البديعة وآثارهم الطبية الحسنة، لخير دليل عن وجود بيمارستانات تمارس فيها هذه المعالجات^(١).

وخلاصة القول أن البيمارستانات لم تكن فقط للمعالجات الطبية، بل كانت معاهد للتعليم ولتدريب الطلاب على مهنة الطب مما كان له أثره فى ظهور عدد من الأطباء فى إقليم خوارزم خلال العصرين السجلوقى والخوارزمى .

ى - الزوايا والأربطة والخوانق:

الزوايا جمع زاوية، وهى لفظ عربى معناه الركن من الدار، أو المكان عامة^(٢)، وهى من معاهد العلم والثقافة، وهى عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة ويقام فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة فى علوم الدين وما يتصل بها من العلوم النقلية والعقلية^(٣)، وكانوا يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبنى أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة^(٤)، ومن ذلك زاوية الشيخ نجم الدين الكبرى ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، ولقد رآها ابن بطوطة عندما زار خوارزم، وهى تربة الشيخ، وبخارجها قبر الإمام الزمخشري وعليه قبة^(٥).

أما الأربطة: فأصل الرباط: ما يربط فيه الخيل^(٦)، عملا من قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾^(٧). ثم قيل أن الرباط مكان إقامة الحامية الرابطة عند ثغور العدو^(٨)، حيث يدافع المجاهد الرباط المقيم فى الرباط عمن وراءه على طاعة الله وبدعائه عن العباد والبلاد^(٩).

(١) ابن أبى أصيبعة: نفسه، ج٣، ص ٤٨ .

(٢) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، حاشية ٤، ص ١٨٢ .

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ٢٥٠ .

(٤) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٦٢ .

(٥) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٦٠ .

(٦) السهروردى: (شهاب الدين أبى حفص عمر السهروردى)، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م، تحقيق د/ عبد

الخليل محمود ومحمود بن الشريف، جزء١، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج١، ص ١٨٠ .

(٧) سورة الأنفال: الآية ٦٠ .

(٨) السهروردى: عوارف المعارف، ج١، ص ١٨٠ .

(٩) لمزيد من التفاصيل: عن خصائص أهل الأربطة، راجع السهروردى، ج١، ص ١٨٣: ١٩٢ .

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الأربطة في البلاد الإسلامية، فلم تعد مكانا عسكريا، بل أصبحت أماكن حياة الزهد والتقشف، والتصوف، يرتادها الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله، والتوبة، ومجاهدة النفس، والحد من شهواتها، كما أصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية، إضافة إلى دورها الثقافي في الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الأجازات العلمية وتصنيف الكتب، وساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن، ووقفوا بها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكباتها، وكذلك كان يفعل الطلاب الذين يرحلون في طلب العلم، وكان العلماء يتخذون من الرباط، أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف ويساعدهم على ذلك مكبات الأربطة العامرة، وإمكانية مكوثرهم فيها وقتا طويلا وما يتهيأ لهم فيها من معنوية بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة، الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للثواب^(١).

ولقد انتشرت الأربطة في إقليم ما وراء النهر عامة وخوارزم خاصة وفي ذلك يقول ابن حوقل^(٢): "بلغني أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط، وفي كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابته فطعامه إن أحتاج إلى ذلك".

ولقد شجع سلاطين السلاجقة الصوفية على ذلك وأقاموا لهم الأربطة^(٣). وفي وصف محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي لإقليم خوارزم يقول^(٤): "وله رباطات حصينة". هذه الأربطة أقام فيها الصوفية وكان للصوفية عدة وكل طريقة لها شيخ تسمى بطريقته باسمه^(٥).

أما الخوانق: فهي جمع خانقاه، والخانقاة كلمة فارسية معناها البيت، وهي حديثة في الإسلام، في حدود الأربعمئة، وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة والتصوف^(٦)، وكانت تبنى غالبا على شكل مساجد الصلاة، ألا أن فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء

(١) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ص ٢٣٩، الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٢) صورة الأرض، ص ٣٨٦، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٨٧.

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٢١٥.

(٤) الخوارزمي: تاريخ خوارزمشاه، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣ مجاميع، ميكروفيلم ٥١٧٠، ورقة ٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع الصوفية، الفصل الثالث، ص ١١٤ - ١١٥.

(٦) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، حاشية ٤، ص ١٨٢، أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص ١٢٢.

والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم مجتمعين وللقيام بأدوارهم وأذكارهم، ولا يكون فيها في الغالب منبر لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلى نادرا^(١).

وبذلك كانت الزوايا والأربطة والخوانق معاهد علمية تدرس فيها العلوم المختلفة مما كان له أثر في نشاط الحركة الفكرية في العالم الإسلامي عامة وخوارزم بصفة خاصة .

ك - القلاع والحصون:

اشتهر إقليم خوارزم ببناء القلاع والحصون والأسوار لحمايتها . ومن الوصف الجغرافي السابق يتضح أنه بمدن وقرى خوارزم كلها قلاع وحصون وخنادق وأسوار .

وقد اتخذت هذه القلاع والحصون كنقاط حربية إلى جانب كونها مكانا للتعليم حيث كان يربط فيها الفقهاء والعلماء والطلاب فتحوّلت من قلاع حربية إلى قلاع علمية^(٢).

ومن هذه القلاع الحصينة قلعة منقشلاغ، بالفتح ثم السكون وفتح القاف وسكون الشين المعجمه وأخره عين معجمه: قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم، قرب البحر الذي يصب فيه جيحون وهو بحر طبرستان^(٣)، أقام بها المؤيد بن الموفق بن أحمد الملكي ثم الخوارزمي ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، وكتب إليه الموفق وهو بخوارزم وابنه بمنتقشلاغ يتشوقه .

أيا برق نجد هجت شوقي إلى نجد	وأضرمت في الأحشاء نائرة الوجد
خوارزم نجدى وهى غير بعيدة	وقد حلت عيسى برغى عن الوجد
إذا غازلت ريح الشمال رياضها	عقيب نداها خلتها حبة الخلد
فلا وقلبي عين عيني ناشف	ولا عين عيني مطفىء الوهج والوقد
فيا إخوتى هل تذكرون أخالكم	غريبا بمنتقشلاغ في شدة الجهد
ألام بما أبدى من الشوق نحوكم	على أن ما أخفيه أضعاف ما أبدى ^(٤)

(١) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٦٠ .

(٢) محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية في أصبهان، ص ١٢ .

(٣) بحر طبرستان: هو بحر الخزر وهو بحر واسع عظيم، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ج ٢، ص ٢٧٢ .

(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٣٣٣ .

ومن أهم قلاع إقليم خوارزم أيضا هزاراسب، ويقال لها بالفارسية هزارسف^(١) ومعناها بالفارسية أيضا ألف فرس^(٢)، وهى مدينة كبيرة وقلعة حصينة بأرض خوارزم، وهى كالجزيرة وليس إليها إلا طريق واحد^(٣) على ممر قد صنع من نواحي خوارزم بينها ثلاثة أيام وهى فى الفضاء وفيها أسواق كثيرة وأهل ثروة^(٤).

ولقد أجمع المؤرخون والرحالة الجغرافيون على أن مدن وقرى خوارزم بها قلاع وحصون وخنادق وأبواب^(٥). هذه القلاع التى كانت معهد من معاهد العلم يجتمع فيها العلماء والطلاب للمناقشة والمناظرة .

وهكذا فقد لعبت معاهد العلم دورها البارز، فى إخراج العديد من العلماء والقراء والمفسرين والمحدثين، والفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء، وغيرهم، ممن كان لهم دورهم الفعال فى إثراء الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، وغيره من الأقاليم والمدن الإسلامية المجاورة، بفضل الإنتاج العلمى والأدبى الضخم الذى كان يعرض فى هذه المعاهد العلمية خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى .

-
- (١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٤٧٧، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٤ .
(٣) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٦٧ .
(٤) ياقوت الحموى: المصدر السابق، ص ٤٧٧ .
(٥) الأصبخراى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ١٦٩، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، ٣٩٦، المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، ٢٣٠، لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٤٩٠، ٤٩٨ .